38

روايات عالمية للجيب



الغريم الخفى

بقلم: أجاثا كريستى
ترجمة وإعداد
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلفة



(أجاثا كريستى) أيقونة بريطانية للأدب البوليسى ، وقد احتلت بثقة ذات الموضع الذى احتله من قبل (آرثر كونان دويل) بمخبره الجذاب (شيرلوك هولمز) .

قصصها جديرة بحق بأن تكتبها سيدة إنجليزية مهذبة ، فهى قصص تخلو من العنف والدماء والجنس ، لكنها تفسح الطريق تمامًا للعقل والاستنتاج المنطقى . كل من فى القصة راق مهذب : الضحايا والمخبرون والقتلة واللصوص ! وبالطبع تعلى (أجاثا كريستى) قيمة السرد أو (الحكى) على أى شىء آخر ، وبحيث يكون أهم ما يعنى القارئ هو : ماذا سيحدث للأبطال بعد هذا ؟ وفى هذا يوجد تشابه معين بينها وكاتبة بريطانية أخرى عظيمة الشهرة هى (دافنى دى مورييه) . لكن

(أجاثا كريستى) مالت إلى التخصص فى القصص البوليسى ، بينما لم تترك (دى مورييه) مجالاً إلا وجربت الكتابة فيه .

باعت كتب (كريستى) (نحو بليون نسخة بالإنجليزية وبليونًا آخر بلغات أخرى بلغت خمسًا وأربعين لغة . فلم يتفوق عليها فى المبيعات إلا الإنجيل وشكسبير .

ولدت (أجاثا ميلر) فى (توركوى) بانجلترا عام ١٨٩٠ ، وفى عام ١٩١٤ تزوجت الكولونيل (أرشيبالد كريستى) الذى منحها اسمه ، وقد رزقت بطفلة واحدة قبل طلاقهما فى ١٩٢٨ . بعدها تزوجت عالم آثار ، وكان هذا سبب المزحة الشهيرة «تزوجته لأنه كلما تقدم بى العمر اهتم بى أكثر» .. ومع هذا الزوج تعلمت (أجاثا) حب الأسفار وحب الشرق الذى تدور عشرات من قصصها فيه ، بل إن لها رواية ممتعة تقع فى العصر الفرعونى .

استخدمت (أجاثا كريستى) كافة طرق القتل فى رواياتها ، لكن كان لها ولع خاص بالسموم ، لأنها مملكتها التى تعرفها جيدًا ، منذ كانت ممرضة مشرفة على السموم فى أثناء الحرب العالمية الأولى .

كانت قصتها الأولى (القضية الغامضة فى ستايلز ـ ١٩٢٠) هى ميلاد مخبرها البلجيكى الشهير (هركيول بوارو) . المخبر صاحب الخلايا الرمادية الذى قهر ٣٣ مجرمًا ذكيًا فى ٣٣ رواية . قدمت لنا كذلك شخصية العانس الريفية الحشرية (مس ماربل) التى تتدخل فى كل شىء وترى أن العالم كله نسخة من قريتها (سانت مارى ميد)(*) .. هناك شخصية ثالثة اسمها (باركر باين) وهو ليس مخبرًا بوليسيًا ، لكنه يملك مكتبًا يقدم السعادة للمحرومين منها ..

استمرت (أجاثا كريستى) فى الكتابة زهاء نصف قرن ، كتبت خلاله ٧٩ رواية ومجموعة قصصية . كما كتبت عدة مسرحيات ومنها (مصيدة الفئران) التى بدأ تقديمها فى (لندن) عام ١٩٥٢ ومازالت مستمرة حتى الآن ! حتى بعد ما توفيت المؤلفة فى يناير ١٩٧٦ . والجدير بالذكر أنها كانت قد وقفت أرباح المسرحية على حفيدها (ماتيو) فى عيد ميلاده ، بالتالى صار الحفيد مليونيرًا ومازالت أرباحه تتكوم !

(*) تكلمنا بشىء من التفصيل عن عالم المخبرين فى الكتيب العشرين من سلسلة فانتازيا (من فعلها ؟)

كتبت (أجاثا) كذلك ست قصص عاطفية باسم مستعار هو (مارى ويستماكوت) . إلا أن نجاحها الأعم كان فى مجال القصة البوليسية ، والقصة التى نقدمها لها اليوم من بطولة (هيركول بوارو) ، لكنها من قصصها الشائقة الشهيرة . وكان من العسير أن نجد قصة لم تترجم لـ (أجاثا كريستى) بعدما قام به المترجمون العظام من أمثال الأستاذ (عمر عبد العزيز أمين) وآخرين ، من ثم اخترنا هذه الرواية التى لم تترجم ، أو ـ على الأقل ـ لم نرها مترجمة قط .. ونرجو ألا نكون مخطئين .

د . أحمد خالد توفيق

تمهيد

كانت الساعة الثانية بعد ظهر ٧ مايو ١٩١٥ . وقد تم ضرب السفينة (لوزيتانيا) بطوربيدين ، والسفينة تغرق بسرعة ، وقوارب الإنقاذ يتم إنزالها على عجل . وقد وقفت النساء والأطفال بانتظار النجاة ، وضم البعض أطفالهم إلى الصدور ، وقفت فتاة شابة وحدها بعيدًا عن الآخرين . كانت لاتزيد على الثمانية عشر عامًا ولم تبد خائفة ، بل إن عينيها الثابتتين كانتا تنظران للأمام .

« أستميحك عذرًا .. »

جاء صوت رجل من جوارها ، فأفزعها وجعلها تلتفت . كانت قد لاحظته أكثر من مرة بين ركاب الدرجة الأولى . كان جو من الغموض يحيط بهذا الرجل مما راق لها وأذكى خيالها . وقد لاحظت الآن أنه متوتر بحق . كانت حبيبات من العرق على حاجبيه ، وبدا أن الخوف يتملكه بشدة .

قابلت عيناها عينيه متسائلة :

- « نعم ؟ »

وقف يرمقها بنوع من التردد اليائس وغمغم لنفسه :

- « لابد من هذا .. نعم .. هذا هو السبيل الوحيد ! »

ثم بصوت عال قال :

- « أنت أمريكية ؟ »

- « نعم .. »

- « ووطنية ؟ »

احمر وجه الفتاة وقالت :

- « أحسب ليس من حقك سؤال كهذا .. لكن نعم .. أنا كذلك .. »

- « لاتتضايقى .. لكن لابد لى من أن أثق بشخص ما .. خاصة النساء ، وهذا من أجل قاعدة : النساء والأطفال أولاً .. » - ونظر حوله وقال - « أنا أحمل أوراقًا مهمة تغير وضع الحلفاء فى الحرب .. هل تفهمين ؟ يجب

إنقاذ هذه الأوراق .. وفرصتها فى السلامة معك أفضل منها معى .. »

مدت الفتاة يدها فقال :

- « انتظرى ! يجب أن أنذرك .. قد يكون هناك خطر لو كان هناك من يتبعنى .. هل لديك الأعصاب للقيام بهذا ؟ »

ابتسمت الفتاة :

- « سأجتاز هذه التجربة ، ويسرنى أنك اخترتنى .. وماذا أفعل بها بعد ذلك ؟ »

- « راقبى الصحف .. سأنشر إعلانًا فى جريدة (التايمز) يبدأ بـ (رفيق السفينة) .. لو مرت ثلاثة أيام يمكنك أن تعرفى أنى غرقت ، عندها اذهبى للسفارة الأمريكية .. واعطى الأوراق للسفير الأمريكى فى يده .. هل هذا واضح ؟ »

- « واضح تمامًا .. »

وأمسكت يدها بالرزمة المغلفة بالمشمع التى كان يحملها فى يده ، وهنا جاء دورها فى قوارب الإنقاذ مغادرة (لوزيتانيا) .

الفصل الأول

شركة المغامرين الصغار المحدودة

ـ « (تومى) ! أيها الشىء القديم ! »

ـ « (توبينس) ! أيتها الفاصوليا العتيقة ! »

التقى الشابان فتبادلا التحيات الحارة ، وبالطبع كان استعمالهما صفة (القدم) مزاحًا لأن عمريهما معًا ما كان ليتجاوز خمسة وأربعين عامًا ..

اتجها معًا إلى (بيكاديللى) وسألها (تومى) :

ـ « حسن .. إلى أين نحن ذاهبان ؟ »

وما كانت نبرة القلق فى صوته لتفوت مس (برودنس كاولى) ، والتى يسميها أصدقاؤها (توبينس) لسبب مجهول .. عرفت أنه فى حالة من الفلس بعدما تم تسريحه من الجيش ، وبسبب تكاليف المعيشة وحالة الحرب التى تمر بها البلاد ..

اتجها إلى كافتريا (ليون) ـ بعدما وعدته بأن يدفع كل منهما حسابه ـ وراحا يفتشان عن مائدة ، وهما يسمعان أطرافًا من المحادثات الدائرة على الموائد المتناثرة .. أخيرًا وجدا مائدة ، فطلب (تومى) بعض الشاى والكعك ..

جلس أمامها وقد عرى رأسه ، فبدا شعره اللامع المصفف بعناية للوراء ، وكان وجهه قبيحًا بشكل جذاب ، لكنه بلاريب وجه جنتلمان ورياضى . بالمثل لم تكن (توبينس) تدعى الجمال ، لكن كانت هناك فتنة لاشك فيها فى تقاطيع وجهها الدقيق ، بذقنها قوية الشكيمة ، وعينيها الرماديتين اللتين تنظران من تحت حاجبين أسودين مستقيمين .

جاء الشاى فبدأت (توبينس) تصبه فسألها (تومى) وهو يقضم قضمة كبيرة من الكعك :

ـ « الآن لنجدد معلوماتنا .. تذكرين أننى لم أرك منذ ذلك الزمن فى المستشفى عام ١٩١٦ »

ـ « حسن .. السيرة الذاتية المعدلة للآنسة

(برودانس كاولى) .. لقد تركت مباهج بيتها ، وجاءت إلى (لندن) حيث التحقت بمستشفى عسكرى .. غسلت ٦٤٨ طبقًا كل يوم .. فى الشهر التالى ترقت لتجفف الأطباق سابقة الذكر .. فى الشهر الثالث ترقت إلى تقشير البطاطس .. بعد هذا ترقت إلى خادمة تحمل دلوًا وممسحة .. ثم صارت مسئولة عن خدمة الممرضات .. بعد هذا عادت إلى الدلو والممسحة لأن إحدى الممرضات التهمت بيضة إفطار زميلتها ، وكان لابد من عقاب المسئولة ! بعد عام غادرت آنسة (برودانس كاولى) الموهوبة المستشفى لتعمل سائقة شاحنة .. ثم سائقة خاصة لجنرال .. بعد هذا عملت ساعية بريد فى أحد مكاتب الحكومة حتى الهدنة .. دورك ؟ »

قال (تومى) فى ندم :

ـ « لا توجد ترقيات فى قصتى .. لقد ذهبت إلى فرنسا فى الحرب ، ثم أرسلونى إلى بلاد ما بين النهرين .. هناك جرحت وتم تسريحى من الجيش .. ولمدة عشرة أشهر مازلت أبحث عن عمل .. »

سألته فى كآبة :

ـ « ماذا عن المستعمرات ؟ »

ـ « لا أحب المستعمرات ولا أحسبها ستحبنى ! »

ـ « هل من أقارب أثرياء ؟ »

من جديد هز (تومى) رأسه ..

ـ « آه يا (تومى) .. ولاحتى شقيقة لجدتك ؟ »

ـ « لدى عم ثرى لكنه لايفيد .. لقد أراد أن يتبنانى مرة لكنى أبيت .. كان يكره أمى وأراد حرمانها منى ، بينما كنت أنا كل ما تملكه فى الحياة .. »

قالت فى حنق :

ـ « المال .. المال .. المال ! إننى أفكر فى المال صباحًا ومساءً .. لاشىء سواه فى ذهنى .. لاتوجد سوى ثلاث طرق للحصول عليه : أن يمنح لك أو تتزوجه أو تصنعه .. الأول مستبعد فليس لى أقارب أثرياء ، برغم أننى أساعد العجائز فى عبور الطريق ، لعل أحدهم يكون مليونيرًا ، لكن حتى هذه اللحظة لم

يسألنى أحدهم عن اسمى أو يسدى لى الشكر .. بعد هذا فكرت فى أن أتزوج المال .. أنت تعرف أننى لست عاطفية .. أليس كذلك ؟ »

وافقها (تومى) بحماسة :

ـ « طبعًا .. لايمكن لأحد أن يربط بينك وبين أية عاطفة .. »

ـ « ليس هذا بالقول المهذب لكنى أوافقك .. المشكلة أننى لا ألقى الأثرياء أبدًا ، وكل من ألقاهم أفقر منى .. لماذا لاتتزوج أنت فتاة ثرية ؟ إن الأمر أسهل بالنسبة لك .. أما أنا فلو رأيت رجلاً بمعطف من الفراء ، يخرج من (الريتز) فليس بوسعى أن أهرع إليه قائلة : مرحى .. أنت ثرى .. أريد تعرفك أكثر ! »

غمغم (تومى) :

ـ « أنت تبالغين فى تأثير سحرى الرجولى .. »

ـ « إذن يظل الحل الأخير هو أن تصنع المال .. لقد جربنا كل الوسائل المحترمة ففشلنا ، ولم تبق إلا الوسائل غير المحترمة .. (توم) .. دعنا نصر

مغامرين ! لو عرف الناس بأمرنا فلسوف يستأجروننا لنقوم بالجرائم لهم ! بالتأكيد هناك فارق بين أن تسرق قلادة ماسية لنفسك وبين أن تسرقها من أجل آخرين ! »

ـ « لن يكون هناك أى فارق لو قبض البوليس عليك .. ! »

ـ « ربما .. لكن أحدًا لن يقبض علىّ لأنى سأكون بارعة .. هل تقبل أن نكون شركة محدودة اسمها (المغامرون الصغار) ؟ »

ـ « ربما .. لكن كيف تنوين الاتصال بعملائك ؟ »

ـ « الإعلان .. هل معك قصاصة ورق وقلم ؟ كل الرجال يحملون هذه الأشياء كما نحمل نحن دبابيس الشعر »

ناولها مفكرة صغيرة ، فراحت تكتب فيها قائلة :

ـ « ما رأيك فى هذا ؟ مغامران شابان للإيجار . مستعدان لعمل أى شىء والذهاب لأى مكان . لانرفض أى عرض معقول »

- « يخيل إلى أن أى عرض سنتلقاه على إعلان كهذا لابد ألا يكون معقولاً »

- « أنت عبقرى .. سنعدل الصيغة إلى : لانرفض أى عرض غير معقول ، ما دام العائد مجزيًا .. ما رأيك فى هذا ؟ والآن سأقرؤه عليك ثانية : مغامران شابان للإيجار . مستعدان لعمل أى شىء والذهاب لأى مكان . لانرفض أى عرض غير معقول ، ما دام العائد مجزيًا .. كيف ترى هذا ؟ »

- « أرى أنها خدعة أو أن كاتب الإعلان مجنون .. »

ناولته الإعلان وقالت وهى تضع أمامه بعض العملات :

- « انشره فى (التايمز) واحجز صندوق بريد .. أعتقد أن الأمر يتكلف خمسة شلنات .. هذا هو نصيبى من التكلفة .. »

قال لها فى حيرة :

- « هل سنجرب هذا الشىء حقًا ؟ »

صبت المزيد من الشاى البارد فى القدحين ، وقالت :

- « (تومى) .. أنت رجل رياضى الروح .. هذا هو اتفاقنا .. فلنشرب نخبه وندع اللّه أن يزدهر عملنا .. »

وافترق الشابان على وعد باللقاء غدًا ..

لأسباب اقتصادية مشت (توبينس) عائدة لفندقها الرخيص ، وكانت تعبر حديقة (سانت جيمس) حين استوقفها صوت رجل من وراء ظهرها :

- « أستميحك عذرًا .. لكن هل لى أن أتحدث معك للحظة ؟ »

* * *

الفصل الثانى

عرض المستر (ويتنجتون)

استدارت (توبينس) للوراء ، لكن الكلمات ماتت على شفتيها لأن منظر الرجل لم يتمش مع أفكارها الأولى .. وهنا قال الرجل كأنما خمن أفكارها :

- أؤكد لك أننى لم أقصد أية إساءة أدب .. »

صدقته (توبينس) برغم أنها لم ترتح إليه بشكل غريزى .. كان رجلاً ضخمًا حليق الوجه بعناية ، له عينان صغيرتان ماكرتان .. سألته :

- « ماذا هنالك ؟ »

ابتسم الرجل وقال :

- « تصادف أننى سمعت طرفًا من محادثتكما أنت والشاب فى (ليون) ، وأحسب أننى قد أكون نافعًا لكمًا »

وناولها بطاقة كتب عليها :



استدارت (توبينس) للوراء ، لكن الكلمات ماتت على شفتيها ؛ لأن منظر الرجل لم يتمش مع أفكارها الأولى ..

- « مستر (إدوارد ويتنجتون) . أستونيا للمصنوعات الزجاجية »

قال الرجل :

- « لو مررت على العنوان المذكور غدًا فى الحادية عشرة صباحًا ، سأخبرك بتفاصيل الموضوع »

- « سأكون هناك .. »

خلع قبعته وحنى رأسه ثم ابتعد ، فوقفت هى بضع دقائق ترمقه .. ثم هزت كتفيها وقالت لنفسها :

- « المغامرات قد بدأت .. ثمة شىء فيك يا مستر (ويتنجتون) لا أحبه على الإطلاق .. ماذا تريد منى ؟ لكنى كذلك لا أشعر بخوف منك .. وكما قلت وسأقول دومًا : إن (توبينس) الصغيرة يمكنها العناية بنفسها .. »

عادت لغرفتها الصغيرة المتواضعة ، وراحت تفكر فيما عساه يكون عرض هذا السيد .. مضى وقت طويل قبل أن تخلد للنوم ، وفى نومها رأت أن المهمة التى ادخرها لها مستر (ويتنجتون) لم تكن سوى

غسيل مئات من مصنوعات زجاج (إستونيا) ، والتى بدت تمامًا مثل أطباق المستشفى بالنسبة لها ! »

وصلت مبكرًا خمس دقائق عن الموعد إلى مربع المبانى الذى كانت فيه شركة (إستونيا) للمصنوعات الزجاجية . إن الوصول قبل المعياد يوحى باللهفة .. لذا أضاعت بعض الوقت بالمشى فى الشارع جيئة وذهابًا .. كانت الشركة فى الطابق العلوى ، وكان هناك مصعد ، لكنها آثرت الصعود على الدرج ..

دخلت إلى مكتب متسخ ، لتقابل موظفًا يسألها عما تريد ، فقالت :

- « لدى موعد مع المستر (ويتنجتون) »

قادها إلى مكتب جانبى ، وقرع الباب ثم فتحه .. كان مستر (ويتنجتون) جالسًا وراء مكتب تغطيه الأوراق ، ومن جديد استعادت شعورها السابق بأن هناك سرًا يحيط بالرجل .. نعومته الملساء وعيناه المراوغتان لم تكن من الأشياء الجذابة . دعاها

للجلوس فجلست ، وكانت تبدو صغيرة خجولاً هذا الصباح ، لذا أطرقت ببصرها متظاهرة بالوداعة بينما هو يقلب أوراقه . قال لها :

- « الآن يا سيدتى العزيزة .. لنأت إلى العمل .. »

- واتسع وجهه الضخم فى ابتسامة - « تريدين عملاً؟ ماذا عن مائة جنيه الآن مع دفعى كل النفقات ؟ »

وتراجع للوراء فى مقعده ، فتأملته (توبينس) فى حذر ، وسألته :

- « وما هى طبيعة العمل ؟ »

- « صورية .. صورية تمامًا .. رحلة سارة وهذا كل شىء .. »

- « إلى أين ؟ »

- « باريس .. هل يوجد أجمل من أن تعودى للوراء وتقيمى فى أحد بنسيونات الشابات فى باريس ؟ »

فكرت (توبينس) فى نفسها : لو علم أبى لأصابته نوبة ! لكننى لا أتخيل المستر (ويتنجتون) فى دور خادع النساء .. استطرد الرجل :

- « بنسيون مدام (كولومبييه) فى شارع (دى نويللى) .. أريد منك أن تقيمى هناك نحو ثلاثة أشهر » .

أصابتها الدهشة .. إنها تعرف المكان جيدًا لأن لها صديقات أمريكيات كثيرات هناك .. سألته :

- « وماذا غير ذلك ؟ هل هناك شروط أخرى ؟ »

- « لاشىء .. ولن أطلب منك إلا السرية التامة .. بالمناسبة أنت إنجليزية .. أليس كذلك ؟ »

- « نعم . »

- « برغم هذا لكنتك أمريكية نوعًا .. »

- « صديقتى فى المستشفى كانت أمريكية . لكن يمكننى الخلاص من هذه اللكنة سريعًا .. »

- « بالعكس .. أعتقد أنه من الخير أن يحسبك القوم أمريكية .. »

قالت له معترضة :

- « لحظة ياسيدى .. أنت تعتبر موافقتى مفروغًا

منها برغم أننى لا أفهم السبب الذى يجعل مهمتى تستحق كل هذا القدر من المال .. »

- « هذا صحيح .. يمكننى دائمًا أن أجد واحدة أخرى بسعر أقل . لكننى بحاجة إلى شابة ذكية ذات تمييز ولا تسأل الكثير من الأسئلة .. »

ابتسمت وقد شعرت أنه وفق فى رميته ، ثم تذكرت فسألته :

- « وماذا عن مستر (بيرسفورد) شريكى ؟ ما دوره فى هذا ؟ »

قال الرجل باسمًا :

- « للأسف لا دور له هنا .. »

نهضت وقالت :

- « إذن الموضوع منته .. كلانا أو لا أحد منا .. عمت صباحًا يا مستر (ويتنجتون) »

- « انتظرى حتى أرتب لك شيئًا يا آنسة .. »

وصمت منتظرًا أن تكمل له الاسم ..

بحثت (توبينس) عن أول اسم فى ذهنها قالت بسرعة :

- « (جين فين) .. »

وفتحت فاها منتظرة تأثير هذه الكذبة .. احمر وجه (ويتنجتون) غضبًا واختفى اللطف منه ، واحتقنت الأوردة فى جبينه ، وبدا مع هذا نوع من الهلع لا شك فيه .. قال :

- « هذه هى لعبتك الصغيرة إذن !؟ »

لم يكن لدى (توبينس) أدنى فكرة عن معنى كلامه ، لكنها صممت على العناد والحفاظ على هذه الكذبة .. وواصل الرجل الكلام :

- « كنت تعبثين بى طيلة الوقت .. كنت تعرفين من البداية ما أردت منك ، لكنك واصلت تمثيل هذه الملهاة .. »

- وبدأ غضبه يتلاشى - « من الذى ثرثر بهذا ؟ هل (ريتا) ؟ »

هزت (توبينس) رأسها ولم تدر إلى متى يستمر هذا .. لكنها أدركت أن عليها إبعاد (ريتا) هذه عن الأمر .. قالت :

- « لا .. (ريتا) لا تعرف شيئًا عن الموضوع .. »

- « وما حجم ما تعرفين ؟ »

- « القليل جدًا »

وسرها أن القلق ازداد على وجهه .. لو كانت قد زعمت أنهـا تعرف الكثير ، لبدأ يشك فى الأمر .. ضرب الكتب بقبضته وصاح :

- « كفى عن الخداع .. ما حجم ما تعرفين .. وكم تريدين ؟ »

- « عزيزى مستر (ويتنجتون) .. دعنا نضع أوراقنا على المنضدة .. لنقل إننى أعرف اسمًا معينًا ، لكن ربما أن معلوماتى تنتهى عند هذا الحد .. إنك تسىء الحكم على .. »

- « كفى عن السخف .. أنا أعرف أنك تعرفين الكثير .. وهذا يضعنا أمام السؤال المعتاد : كم ؟ »

كانت فخورًا بنجاحها ، لكنهـا خشيت أن تطلب رقمًا مستحيلاً كى لايشك فيها ، وواتتها فكرة لابأس بها :

- «لنقل دفعة بسيطة مقدمًا ثم نناقش الأمر بالتفصيل فيما بعد .. كما ترى أنا مولعة جدًا بالمال .. »

- « هذا ابتزاز .. »

- « بل هو دفع الأتعاب مقدمًا .. »

هنا جاء الموظف حاملاً ورقة ، قرأها (ويتنجتون) وقطب جبينه .. ثم قال لها :

- « حسن .. سنناقش هذا غدًا لأننى مشغول .. ها هى ذى خمسون دفعة أولى »

ومد يده لها ببعض الأوراق المالية .. عدتها بعناية ثم وضعتها فى الحقيبة ونهضت قائلة بأدب :

- « وداعًا يا مستر (ويتنجتون) أو لنقل إلى اللقاء »

قال فى لطف أثار توجسها :

- « بالفعل إلى اللقاء يا فتاتى الصغيرة الذكية »

خرجت الفتاة مزهوة بنجاحها ، ونظرت إلى ساعة صغيرة معلقة .. كانت تشير إلى خمس دقائق بعد الظهر .. استوقفت سيارة أجرة واتجهت إلى حيث تلقى (تومى) ..

* * *

الفصل الثالث

فرار

قالت له (توبينس) بعد ما حكت قصتها :

- « والغريب فى الأمر هو أننى اخترعت تمامًا اسم (جين فين) ! لم أرد أن أزج باسم أبى فى موضوع كهذا قد يكون شائكًا .. »

قال (تومى) وهما جالسان فى ذلك المطعم الفاخر الذى دعته إليه :

- « ربما .. لكنك لم تخترعيه .. أنا ذكرت الاسم لك أمس حين دخلنا كافتريا (ليون) وسمعت رجلين يتحدثان عن أنثى اسمها (جين فين) .. »

تذكرت (توبينس) كيف تداعى الاسم إلى ذهنها .. ياللعجب ! سألته :

- « كيف كان الرجلان يبدوان ؟ »

فكر قليلاً ثم قال :

- « أحدهما كان أسمر اللون .. ضخمًا .. حليق الذقن بعناية .. »

صاحت (توبينس) فى صرخة غريبة :

- « إنه هو ! هو (ويتنجتون) ! والآخر ؟ »

- « لم ألحظه فى الواقع .. كان الاسم الغريب هو مالفت نظرى .. »

- « والناس يقولون إن المصادفات لا تحدث ! »

لكنه كان جادًا .. سألها :

- « انظرى هنا أيتها الفتاة العجوز .. إلام يقودنا هذا ؟ »

- « إلى مزيد من المال .. »

- « أعرف هذا ، فليس عندك إلا فكرة واحدة فى ذهنك .. وماذا بعد هذا ؟ كيف تواصلين اللعب ؟ أنت لن تستطيعى خداع الرجل للأبد .. سترتكبين خطأ ما عاجلاً أو آجلاً .. بالإضافة لهذا لست واثقًا من أن هذه ليست جريمة ابتزاز .. »

- « كلام فارغ .. الابتزاز هو أن تهدد بالكلام ما لم يعطوك مالاً ، وأنا لن أتكلم لأننى لا أعرف شيئًا .. »

قطبت (توبينس) وقالت :

- « سنفكر فى هذا .. اطلب لنا بعض القهوة التركية المنعشة للمخ .. رباه ! ما أكثر ما أكلت ! »

وجاءت القهوة فرشفت منها وراحت تفكر ثم قالت :

- « خطتى كما يلى .. سأذهب وحدى غدًا وأحاول خداعه كما فعلت اليوم .. ستنتظر أنت بالخارج .. إنه لا يعرفك ، ومن العسير أن يذكر ملامحك .. سأقف بالخارج دون أن أتكلم إليك ، وحين يخرج هو سألقى بمنديل .. عندها تعرف أن هذا هو الرجل المعنى وتتبعه .. من المهم أن نعرف من هو .. أين يعيش .. الخ .. »

- « هذا شبيه بالقصص .. أعتقد فى الحياة الواقعية أننى سأقف كالجحش ساعات طويلة والناس يرمقوننى فى دهشة .. »

- « ليس فى مدينة كهذه حيث الكل مشغول .. »

أمضى الشابان يومًا سعيدًا بين محلات المدينة ومطاعمها وملاهيها ، وحين انتهى اليوم كانت ورقتان من ذات الخمسة جنيهات قد فنيتا للأبد ..

فى اليوم التالى بدأ تنفيذ الخطة كما اتفقا عليها ..

وقف (تومى) عند الجانب الآخر من الطريق ينتظر ، حين وجد الفتاة تهرع له صائحة :

- « (تومى) .. المكان موصد ! لا أحد يرد على ! »

- « هذا غريب »

- « أليس كذلك ؟ تعال جرب معى .. »

دخلا البناية وصعدا إلى حيث الشركة ، وراحا يقرعان الباب .. هنا خرج موظف مرتبك من إحدى الشركات وسألهما :

- « معذرة .. هل تبحثان عن شركة إستونيا ؟ إنها قد أغلقت وتمت تصفية نشاطها من أمس .. يقولون إنها متاعب مالية .. »

تلعثمت (توبينس) :

ـ شـ .. شكرًا .. أحسبك لا تعرف عنوان المستر (ويتنجتون) ؟ »

ـ « يؤسفنى أن لا .. لقد رحلوا فجأة .. »

شكره الشابان وخرجًا إلى الشارع ، حيث تبادلا النظرات الخاوية من المعنى .. قال لها :

ـ « ابتسمى أيها الشىء القديم .. لقد انتهى الأمر .. »

ـ « بل هى البداية ! »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « لمغامرتنا ! ألا ترى يا (تومى) ؟ لو كانوا خائفين إلى حد الهروب هكذا فمعنى هذا أن هناك الكثير فى قصة (جين فين) هذه .. لسوف نتابعهم .. لسوف نغدو مخبرين مخلصين ! »

ثم تناولت القلم والمفكرة وعليها كتبت إعلانًا صغيرًا ، فسألها :

« ألن تتخلى عن فكرة الإعلان هذه ؟ »

أمسكت الورقة وقرأت عليه العنوان بصوت عال :

ـ « مطلوب . أية معلومات عن المدعوة (جين فين) .. »

★ ★ ★

الفصل الرابع

من هى جين فين ؟

مر اليوم التالى ببطء .. إن أربعين جنيهًا يمكن أن تدوم فترة طويلة لو اختصرنا النفقات .. لحسن الحظ كان الجو جميلاً والمشى رخيصًا .. كان يوم اختفاء الرجل الأربعاء .. سيظهر الإعلان الخميس .. ولربما تصل الخطابات الجمعة ..

وفى الموعد المحدد جلست (توبينس) تنتظر وصول الفتى فى المعرض القومى .. وصل (تومى) ليخبرها أن إجابتين وصلتاه حتى الآن .. اختطفت (توبينس) المظروفين الثمينين من يده دون أن تستأذنه وتحسست الأول فى لهفة :

ـ « مظروف ثمين .. يبدو صاحبه ثريًا .. سنبقيه إلى النهاية .. »

ومدت يدها تفتح الخطاب الثانى :

« سيِّدى العزيز :

« بالنسبة للإعلان المنشور فى الجريدة اليوم ، أحسب أن بوسعى أن أفيدك ، لو قابلتنى فى العنوان المذكور فى الحادية عشرة من صباح غد ..

المخلص : إ. كارتر »

قال لها (تومى) :

ـ « العنوان قريب من هنا والوقت مبكر ، لو أننا استقللنا مترو الأنفاق .. »

أما الخطاب الثانى فكان يقول :

ـ « سيِّدى العزيز :

« بخصوص إعلانك .. سيسرنى أن تمر على وقت الغداء .

المخلص : جوليوس ب . هيرشايمر »

قال (تومى) :

ـ « ها ! هل أشم رائحة وغد ألمانى أم مجرد مليونير أمريكى من ذرية تعسة ؟ على كل حال سنتصل به بمجرد أن نلحق بموعد (كارتر) هذا .. »

كان الحى شديد الرقى ، وحين قرعا الباب المذكور فى العنوان ، فتحت لهما الباب خادمة مهندمة إلى حد أن (تومى) شعر بالهلع من مرآها .. قادتهما إلى غرفة مكتب فاخرة بالطابق الأرضى ، ثم انفتح الباب وظهر رجل طويل القامة له أنف كمنقار الصقر ، له أسلوب غريب يوحى بالتعب ، وكانت ابتسامته جذابة وهو يقول :

- « تفضلا بالجلوس .. »

وجلس على مقعد جوار (توبينس) وابتسم لها مشجعًا .. أدرك (تومى) أنه لن يبدأ بالكلام فقرر أن يتكلم هو ..

- «كنا نود أن نعرف أى شىء عن (جين فين) .. »

فكر الرجل متأملاً ثم قال :

- « آه .. (جين فين) .. السؤال هو ماذا تعرفان أنتما عنها ؟ »

- هذا لا علاقة له بمطلبنا .. »

قال بصوته المنهك وبلهجة أقرب إلى الإغراء :

- « بل له علاقة .. هلما ! أنتما تعرفان عنها شيئًا إذا كنتما قد أعلنتما عنها فى الجريدة .. »

كان له تأثير مغناطيسى على (توبينس) حتى إنها انتشلت نفسها بصعوبة منه ، ونظرت لرفيقها تلتمس العون ، لكن لدهشتها وجدته ينظر للرجل فى إذعان واحترام ، وفجأة قال :

- « نعم يا سيدى .. لقد عرفتك فورًا .. رأيتك فى فرنسا حين كنت أعمل مع المخابرات .. ما إن دخلت الغرفة حتى عرفتك .. »

رفع الرجل يده :

- « لا أسماء من فضلك .. أنا هنا أعرف باسم (كارتر) .. وهذا منزل ابن عمى الذى أعارنى إياه حين أعمل فى قضايا غير رسمية .. والآن من منكما سيحكى لى القصة ؟ »

أشار لها (تومى) كى تتكلم ، فأذعنت الفتاة وراحت تحكى كل شىء من البداية .. فى النهاية قال الرجل بصوته المنهك :

- « ليس كثيرًا لكنه موح .. موح للغاية .. لو سمحتما لى فأنتما شابان فضوليان ويبدو أنكما نجحتما حيث فشل الآخرون .. إننى أومن بالحظ .. أومن به دائمًا .. »

ثم ابتسم وقال :

- « ماذا لو عملتما معى ؟ النفقات أقوم بسدادها مع راتب صغير .. »

اتسعت عينا الفتاة وسألته :

- « نقوم بماذا بالضبط ؟ »

- « نفس ما تقومان به الآن .. اعثرا على (جين فين) .. »

- « ومن هى على أى حال ؟ »

- « نعم .. من حقكما أن تعرفا هذا .. »

واسترخى فى مقعده .. وعقد أصابع يديه ، ووضع ساقًا على ساق وبدأ يتكلم بصوت رتيب :

- « الدبلوماسية السرية - وهى بالمناسبة نوع

من السياسة الرديئة - لا تهمكما .. فقط لنقل إنه فى عام ١٩١٥ كانت هناك وثيقة سرية .. نوع من المعاهدة .. تم توقيعها فى أمريكا التى كانت بلدًا محايدًا وقتها ، وتم نقلها إلى إنجلترا مع شاب يدعى (دانفرز) .. وكنا نأمل أن يظل هذا الموضوع سرًا .. لكن المشكلة أن هناك من يتكلم دائمًا ..

« اتجه (دانفرز) إلى إنجلترا على ظهر (لوزيتانيا) ومعه الأوراق الثمينة فى عبوة مغلفة بالنايلون .. وفى هذه الرحلة ضرب (لوزيتانيا) بالطوربيد وغرقت ، وكان (دانفرز) من بين المفقودين .. فيما بعد حمل المد جثته ووجدناها .. لم تكن الأوراق معه ، وكان السؤال هو : هل سرقت منه أم أنه سلمها لطرف ثان ؟ ثمة دلائل ترجح الرأى الأخير .. لقد شوهد بعد انفجار الطوربيد يتحدث مع فتاة شابة أمريكية .. لكن أين ذهبت هذه الفتاة إذن ؟ هل سرقت منها الأوراق أم كانت هى نفسها تعمل مع الأعداء ؟

« بحثنا عن الفتاة ، وعرفنا بصعوبة أن اسمها

(جين فين) .. بدا أنها اختفت تمامًا برغم وجودها فى قائمة الناجين .. كل ما نعرفه عنها أنها يتيمة ، وأنها تتعلم التدريس فى مدرسة صغيرة ، وأنها تطوعت للعمل فى مستشفى فى فرنسا .. وقد اندهش القوم هناك لأنها لم تصل إلى المستشفى ، ولم تتسلم عملها هناك ..

« لم يستفد أحد من المعاهدة على كل حال ، ودخلت الحرب طورًا آخر .. وأنكر الجميع فكرة وجودها ذاتها .. ونسى الجميع موضوع الفتاة (جين فين) وكل القصة .. »

سألته (توبينس) :

– « لقد انتهت الحرب ، فلماذا يعود الموضوع للظهور ؟ »

– « لأن الأوراق لم تدمر ، ولهذا مدلول خطير .. هناك من يحاول إحياء الموضوع من جديد .. منذ خمس سنوات كانت الأوراق سلاحًا فى يدنا ، والآن هى سلاح ضدنا .. إن بها أشياء تمس رجالاً مهمين فى مجتمعنا الآن .. ولو نشرت الآن فلسوف تسبب كارثة .. ربما تسبب حربًا أخرى ليس مع ألمانيا هذه المرة !!

« إن حزب العمل يشهد اضطرابًا كبيرًا ، ونحن نعلم أن البلاشفة يحركون هذا من الخارج ، والهدف قيام ثورة بلشفية فى إنجلترا .. هناك رجل غامض لا نعرف اسمه هو من يسيطر على البلاشفة .. من هو ؟ لانعرف .. فقط يرمزون له باسم مستر (براون) .. وهو يمول كل شىء وجواسيسه فى كل مكان ..

« الحقيقة أن ما أنتما بصدده هو أخطر عقل إجرامى فى عصرنا .. وإننى لأخشى عليكما باعتباركما شابين هشين .. »

قال (تومى) »

– سأعنى بها يا سيدى فلا تخش شيئًا .. »

ابتسم مستر (كارتر) وقال :

– « الآن نعود إلى الأعمال .. كل شىء يوحى بأن هؤلاء القوم يملكون المعاهدة الأصلية ، وهم ينوون إعلانها فى وقت بعينه .. إنهم يهددون الحكومة بأشياء معينة توحى بأن المعاهدة معهم .. لكنهم يخطئون

أحيانًا مما يدل على أنهم لم يستطيعوا قراءتها ؛ لأنها مكتوبة بالشفرة .. نحن نعرف أن المعاهدة غير مشفرة وهذا طبيعى .. ما معنى هذا إذن ؟ الأغرب أنهم يبحثون عن الفتاة (جين فين) ويحاولون معرفة أسرارها عن طريقنا .. »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « سيدسون فى طريقنا (جين فين) مزيفة تخصهم هم .. سيضعونها فى أحد البنسيونات فى باريس .. إن أحدًا لايعرف كيف تبدو الفتاة ولسوف نقع نحن فى الفخ .. عندها تحصل الفتاة على المعلومات التى تريدها منا .. هل فهمتما الفكرة ؟ »

سألته (توبينس) مذهولة :

ـ « هل تعنى أنهم كانوا يريدون منى أنا أن أذهب إلى باريس منتحلة شخصية (جين فين) ؟ »

ابتسم المستر (كارتر) وقال :

ـ « أنا أومن بالمصادفات كما تعلمين .. »

* * *

الفصل الخامس

مستر جوليوس ب . هيرشايمر

قالت (توبينس) :

ـ « حسن .. يبدو الأمر كما لو كان مكتوبًا .. »

هز (كارتر) رأسه موافقًا ..

ـ « إن خبرائى الذين يعملون بطرق نمطية ، قد فشلوا .. ستجلبان لى الخيال وعقلاً متفتحًا .. فلا تقنطا إن اتضح أن هذا لم ينجح هو الآخر »

سأله (تومى) :

ـ « وما المطلوب منا يا مستر (كارتر) ؟ »

ـ « اتصال دائم وإبلاغى بالمعلومات .. مع تجاهل رسمى تام لكما .. بمعنى أنه لو وقعتما فى متاعب مع البوليس فلا علاقة لى بكما .. أنتما وحيدان تمامًا فى هذا الصدد .. النفقات مدفوعة كلها عن طريقى مباشرة

بلا حاجة للخوض فى البيروقراطية الحكومية .. أما عن الأجر فلنقل ثلاثمائة جنيه فى العام .. ونفس المبلغ للمستر (بيرسفورد) طبعًا .. »

أشرق وجه (توبينس) :

- « أنت كريم حقًا .. إننى أحب المال حبًا جمًا .. لسوف أعد لك كشوفًا مكتوبة بعناية للنفقات .. »

بعد قليل كانا فى الشارع ودوامة من الأفكار فى عقليهما ..

سألته (توبينس) :

- « (تومى) قل لى حالاً .. من هو مستر (كارتر) ؟ »

همس باسم فى أذنها فشهقت دهشة .. فعاد يؤكد لها :

- « أؤكد لك أيتها البازلاء العجوز أنه هو ! »

هنا تذكر الاثنان أنهما جائعان وأن موعد الغداء قد جاء ، ثم خطرت الفكرة لكليهما فى الوقت ذاته :

- « (جوليوس بـ . هيرشايمر) »

- « لم نخبر مستر (كارتر) عنه .. »

- « ليس هناك الكثير ليقال حتى نلقى الرجل .. هلمى نستقل سيارة أجرة .. »

بالسؤال عن الرجل اقتادهما ساع إلى باب مغلق ، سمعا من ورائه صوتًا نافد الصبر يقول : « ادخل ! »

كان مستر (جوليوس بـ . هيرشايمر) أصغر سنًا مما تخيله الشابان .. فى حوالى الخامسة والثلاثين ، له وجه مشاكس لكنه وسيم .. لا يمكن لأحد أن يحسبه إلا أمريكيًا .. قال لهما :

- « هل وصلتكما رسالتى .. هلما اجلسا واخبرانى بما تعرفان عن ابنة عمتى .. »

- « هل هى ابنة عمتك ؟ إذن أنت تعرف أين هى ؟ »

هوى الرجل بقبضته على المنضدة محدثًا صخبًا :

- « لا ! اللعنة على لو كنت أعرف ! وأنتما ؟ »

قالت (توبينس) بحدة :



لا يمكن لأحد أن يحبه إلا أمريكيًا .. قال لهما :

ـ «هل وصلتكما رسالتى .. هلما اجلسا وأخبرانى بما تعرفان عن ابنة عمتى ..» ..

ـ « لقد نشرنا الإعلان طالبين معلومات ، لا لنعطى معلومات ! »

ـ « نعم .. أنا أعرف القراءة ، لكنى حسبت أنكما تعرفان أين هى وتريدان معرفة تاريخها .. هذه ليست (صقلية) بل هى الجزر البريطانية .. لا أحد يهددنى بقطع أذنى ابنة عمتى أو قتلها لو لم أتكلم .. إننى لأشعر برغبة شديدة فى استدعاء رجل الشرطة اللطيف الذى يقف هناك فى ميدان (بيكاديللى) ليعتقلكما »

قال (تومى) :

ـ « لم نختطفها ولا نطلب فدية .. بل نحن مكلفان بالاطمئنان على سلامتها .. »

وحكى للرجل قصة ملفقة نوعًا ومختصرة عن اختفاء الفتاة وتورطها فى «قضية دبلوماسية ما» ، وزعم أنه و (توبينس) مخبران خصوصيان ملكلفان بالبحث عنها ..

قال الرجل وقد هدأ قليلاً :

- « لا بأس كنت متسرعًا .. والسبب هو أن (لندن) تثير أعصابى .. أنا معتاد (نيويوريك) العجوز فقط .. يمكنكما أن تسألا وأنا أجيب .. »

للحظة شل تفكير المغامرين ، ثم بدأت (توبينس) تسأله بطريقة القصص البوليسية :

- « متى كانت آخر مرة رأيت فيها المتو .. ابنة عمتك ؟ »

- « لم أرها قط .. إن أبى وأمها لم يكونا متقاربين جدًا .. ما كان أبى يوافق على زواج أخته من مدرس فقير .. وحين اغتنى أبى وصار مليونيرًا لم يذكر أخته فى وصيته .. بعد هذا أنبنى ضميرى بصفتى وريثه ، واستأجرت من يبحث عن ابنة عمتى التى فقدت أبويها .. اتضح لى أن الطوربيد أغرق سفينتها (لوزيتانيا) فى أثناء الحرب .. من المؤكد أنها حية لكن اختفى أى أثر لها بعد هذا .. حين جئت هنا أبلغت الأدميرالية لكنهم لم يبدوا اهتمامًا .. أما سكوتلانديارد فكانوا مهذبين ، وأرسلوا رجلاً إلى ليأخذوا الصورة

الوحيدة التى وجدتها لها سأتعاون معكما بالتأكيد .. والآن ماذا عن الغداء ؟ ما رأيكما فى مطعم قريب ؟ »

كانوا قد فرغوا من التهام المحار ، حين جاء ساق يحمل بطاقة للمستر (هيرشايمر) .. نظر فيها وقال :

- « المفتش (جاب) من سكوتلاندرياد .. رجل آخر هذه المرة .. ماذا يتوقعون أننى لم أقله أول مرة ؟ أرجو ألا يكونوا أضاعوا الصورة فهى الصورة الوحيدة الموجودة لها فى العالم .. وقد احترق ستوديو المصور بما كان فيه من سلبيات .. »

ارتجفت (توبينس) توجسًا وسألته :

- « ألا تعرف اسم المفتش الذى جاءك صباح اليوم ؟ »

- « لا أعرفه .. لا .. لحظة .. كان على بطاقته .. اسمه (براون) .. رجل متواضع بحق .. »

* * *

الفصل السادس

خطة الحملة

يمكننا إرخاء ستار على أحداث نصف الساعة التالى .. يكفى أن نقول إن سكوتلاندرياد لم تكن تعرف من يدعى المفتش (براون) .. لقد فقدت الصورة عظيمة النفع لرجال الشرطة ، ومن جديد انتصر المستر (براون) ..

ولو كان لهذه الحادثة نفع ما ، فهو التقارب الذى نشأ بين الشابين ومستر (جوليوس ب . هيرشايمر) .. تهاوت الحواجز كلها صاخبة ، وشعر الشابان كأنما يعرفان الرجل من دهر ..

بعد يومين جلس الشابان ـ على حساب الحكومة البريطانية ـ فى (ريتز) .. سألها (تومى) فى استمتاع :

ـ « هل لديك خطة ما نبدأ منها ؟ »

قالت له :

ـ « ليس لدينا الكثير .. لكن هناك أماكن فى (لندن) لا بد أن يظهر فيها المرء .. ومستر (وتنجتون) هذا سيظهر عاجلاً أو آجلاً ، لو أننى انتظرته فى (بيكاديللى سيركس) .. »

ـ « هذا لو كان مازال فى (لندن) طبعًا »

ـ « الدليل الثانى هو اسم ذكره لى : (ريتا) .. »

ـ « لا أحسبك ستنشرين إعلانًا آخر فى الجريدة تطلبين معلومات عمن تدعى (ريتا) .. »

ـ « لا .. لكن شيئًا يحدثنى أن (ريتا) هذه كانت على ظهر (لوزيتانيا) وعرفت كل شىء عن (دانفرز) .. وعلينا أن نبحث بين ركاب السفينة (لوزيتانيا) عنها .. لقد أرسلت هذا الصباح إلى مستر (كارتر) أطلب قائمة كاملة بالناجين من غرق (لوزيتانيا) وها هى ذى بين يديك .. فما رأيك فى (توبينس) العجوز إذن ؟ »

- « الدرجة النهائية فى البراعة .. وصفر فى التواضع .. لكن هل كانت هناك (ريتا) فى القائمة ؟ »

عرضت عليه القائمة وقالت :

- « لا أدرى للأسف .. كما ترى فالقائمة تحوى القليل جدًا من الأسماء الأولى(*) .. دائمًا يشار إلى الشخص باسم أسرته .. أعتقد أن السبيل الوحيد للبحث هو تقصى النساء اللواتى يعشن فى (لندن) فلربما تكون (ريتا) واحدة منهن .. »

وهكذا قضى الشابان صباحًا تعسًا راحا يمران فيه على العناوين السبعة التى حصلا عليها ، وكان (تومى) فى كل مرة يتظاهر بأنه يجرى مسحًا سكنيًا من أجل الانتخابات القادمة .. فشلا فى العثور على (ريتا) هذه بعد تقصى ثلاثة عناوين .. وبدأت حماستهما تنضب ..

(★) يميل الغربيون إلى عدم ذكر الاسم الأول أو ما يسمونه بالاسم المسيحى ، ويذكرون اسم العائلة . فيقولون فى الأعم : مسز (ثاتشر) ويندر أن يقولوا مسز (مارجريت ثاتشر) . هكذا تكون معرفة الاسم الأول عسيرة غالبًا .

كان العنوان الرابع هو الشقة رقم ٢٠ فى مجموعة سكنية فى (ساوث أودلى) .. مسز (فاندماير) .. وكان (تومى) فى هذا الوقت قد وصل إلى قمة إجادة دوره التمثيلى .. وقد كرر العبارات الكاذبة على مسمع العجوز التى تبدو مدبرة منزل والتى فتحت له الباب ، وكالعادة سألها :

- « ما الاسم الأول ؟ »

- « (مارجريت) .. »

- « آه .. فهمت » - وتوقف قليلاً ثم أضاف بجرأة - « إن اسمها لدينا (ريتا فاندمير) .. لكن من الواضح أنه خطأ .. »

- غالبا ماينادونها كذا يا سيدى .. لكن (مارجريت) اسمها الأصلى .. »

- « شكرًا لك .. عمت صباحًا »

وبصعوبة تمالك نفسه حتى وصل إلى المنحنى حيث كانت (توبينس) تنتظره ..

- « هل سمعت ؟ »

هتفت بحماسة وهى تعتصر ذراعه :

- « نعم .. جميل جدًا أن تفكر فى الأشياء ثم تجدها حدثت فعلاً كما تتوقع .. »

فجأة توقفت إذ سمعت صوت خطوات قادمة ، فجذبته بقوة إلى جانب الممر ، وأمرته بأن يلزم الصمت جاء رجلان عبر الدرج ومرا بهما .. فتقلصت يدها أكثر على ذراع (تومى) .. وهمست :

- « هلم .. اتبعهما فأنا لا أجسر على هذا .. قد يتذكر وجهى .. لا أعرف من الرجل الثانى لكن أضخم الرجلين هو مستر (وتنجتون) ! »

★ ★ ★

الفصل السابع

المنزل فى (سوهو)

كان (ويتنجتون) وصاحبه يمشيان بسرعة كبيرة ، من ثم راح (تومى) يركض كى يلحق بهما .. وكانت شوارع (مارى فير) شبه خالية الآن ، لذا وجد من الحكمة أن يكتفى بإبقائهما فى مجال بصره .. كان يعرف ما هو مطلوب من القصص لكنه وجد الأمر عسير التطبيق فى الواقع .. افرض مثلاً أنهما استوقفا سيارة أجرة ؟ فى القصص أنت تستوقف سيارة أخرى ، وتعد السائق بجنيه ذهبى .. لكن فى الواقع ، أدرك (تومى) أنه من العسير أن يجد سيارة أجرة أخرى لو حدث هذا ..

أخيرًا دخل الرجلان شارع (أوكسفورد) ، وسر (تومى) لهذا لأن الزحام سيجعل ملاحظته عسيرة .. تمنى أن يسمع كلمة ، لكن صخب الشارع منعه من

هذا .. دخل الرجلان إلى مقهى (ليون) فقرر أن يجلس على منضدة وراءهما ، وبطرف عينه لاحظ الرجل الآخر الذى مع (وتنجتون) . كان أشقر قدر (تومى) أنه إما روسى أو بولندى .. حاول أن يصغى إلى شىء من المحادثة فلم يفهم إلا أن (وينجتون) يصدر للآخر تعليمات معينة ، والآخر لايقر بعضها ، وأن الرجل يدعى (بوريس) . واستطاع (تومى) أن يلتقط لفظتى (إيرلندا) و(دعاية) عدة مرات .. ثم سمع بوضوح تام لفظة (مستر براون) ، ربما لأن أذنيه صارتا أكثر حدة وكفاءة . وسمع (بوريس) يقول :

- « إننى أتساءل ما إذا كان هذا حقيقيًا .. أنه معنا وبيننا لكن لا يعرف حقيقته إلا قليلون ؟ إننا نتبادل النظرات بينما أحدنا هو مستر (براون) . شخص غامض يعطى الأوامر لكنه كذلك ينفذها على سبيل التمويه » .

أسكته (وتنجتون) كما هو ظاهر ، واستدعيا الساقية ليدفعا الحساب ، وبعد دقائق كانا فى الشارع ثانية و(تومى) خلفهما . استوقف (وتنجتون) سيارة أجرة

وطلب من السائق أن يقلهما إلى محطة (ووترلو) ، ولحسن حظ (تومى) كانت سيارات الأجرة متوافرة هنا ، فسرعان ما ركب سيارة أخرى وطلب من السائق أن يتبع السيارة الأولى .

وفى المحطة سمع (تومى) (وتنجتون) يحجز تذكرة درجة أولى إلى (بورنماوث) ففعل مثله . كانت المشكلة الآن هى أن (بوريس) كما هو واضح لن يستقل القطار بل سيبقى فى (لندن) . إذن هو مخير بين تتبع (وتنجتون) أو (بوريس) . فكر سريعًا ثم اتجه إلى كابينة الهاتف وقرر أن يطلب الأمريكى (هير شايمر) .. لو بقى الروسى حتى يودع رفيقه لكان كل شىء على ما يرام .. قال للأمريكى على الهاتف :

- « لاوقت للشرح .. إننى فى محطة (ووترلو) أتبع (وتنجتون) ورجلاً آخر .. إنه سيركب قطار الثالثة والنصف إلى (بورنماوث) .. أى بعد عشر دقائق .. فهل يمكنك التواجد هنا قبل هذا الوقت ؟ »

- « بالتأكيد .. سأسرع .. »

وضع (تومى) السماعة واثقًا من أن الأمريكى سيفطها فى الوقت المناسب .. المشكلة هى أنه ـ برغم أن هناك من يتحمل النفقات ـ لم يحمل معه ما يكفى من مال ، وقد تركته التذكرة فى الدرجة الأولى شبه مفلس .. وتمنى أن يكون الأمريكى فى وضع مالى أفضل حين يجىء ..

كان الوقت يمضى .. الثالثة وعشرون دقيقة .. الثالثة وثمان وعشرون دقيقة .. لن ينجح الأمريكى .. غمره اليأس حين شعر بيد على كتفه وسمع اللكنة المميزة :

ـ « هأنذا يا بنى .. إن مروركم يفوق الوصف فى السوء .. أين الوغدان ؟ »

ـ « هذا هو (وتنجتون) ومعه رجل أجنبى آخر ..

ـ « حسن .. ومن هو طائرى الذى سأتبعه ؟ »

ـ « هل معك مال ؟ »

هز الأمريكى رأسه نفيًا ، فسقط فك (تومى) . قال الرجل :

ـ « لم أحمل إلا ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه معى ! »

هنا فقط تنفس (تومى) الصعداء :

ـ « رباه ! أنتم معشر المليونيرات لا تتكلمون نفس لغتنا ! هلم اركب العربة .. إن (وتنجتون) هو رجلك إذن .. »

وهكذا ركب (هيرشايمر) القطار ، على حين بدأ (تومى) اقتفاء أثر (بوريس) ..

ركب الرجل مترو الأنفاق ، حتى وصل إلى الشوارع الضيقة المحيطة بحى (سوهو) ، ثم اتجه إلى بيت خرب فطرق الباب بإيقاع معين .. انفتح الباب فدخل ..

هنا فقد (تومى) عقله . كان التصرف الوحيد المعقول أن ينتظر مختبئًا حتى يخرج الرجل ، وكان هذا أقرب إلى تفكيره العاقل الرزين .. لكن لحظة جنون جعلته يقرر أن يتجه إلى نفس البناية ، ويقرع الباب بنفس الإيقاع الذى استعمله الروسى .. انفتح الباب بسرعة وظهر رجل شرير الشكل يسأله :

- « حسن ؟ »

هنا فقط أدرك (تومى) المدى الحقيقى لحماقته .. لم يتردد وقال أول كلمات جاءت إلى ذهنه :

- « مستر (براون) ؟ »

لدهشته أفسح الرجل فرجة الباب وقال وهو يشير لأعلى :

- « الطابق العلوى .. ثانى باب على الشمال » .

★ ★ ★

الفصل الثامن

مغامرات (تومى)

لم يتردد (تومى) برغم دهشته .. إذا كانت الجرأة أوصلته إلى هذا الحد ، فمن الوارد أن تحمله إلى ما هو أكثر . دخل المنزل وارتقى الدرجات المتداعية للسلم . كان كل شىء بالداخل قذرًا بما يفوق الوصف . وفى كل مكان كتلة رمادية من خيوط العناكب . عند قمة الدرج توقف (تومى) ليفكر فى الخطوة التالية .. أمامه كان ممر ضيق بأبواب على الجانبين .. وسمع صوتًا خفيضًا من الباب على يساره .. لاحظ على يمينه فتحة فى الجدار تمت تغطيتها بستارة من المخمل الممزق . باختصار كانت مكانًا ممتازًا يصلح للاختباء والمراقبة ..

وخطر له أن الرجل الذى فتح له الباب لم يأت معه .. معنى هذا أن عبارة (مستر براون) لم تكن

سؤالاً عن واحد ، بل هى أقرب لكلمة سر استعملها بحظه الحسن .. ومن المؤكد أن الحارس لم يكن على علم بجميع أفراد العصابة . لقد خدمه الحظ كثيرًا حتى هذه اللحظة ، لكن دخول الغرفة على اليسار هو مبالغة فى الثقة فى الحظ ..

دوى صوت طرقات من أسفل تستعمل الإيقاع ذاته .. ودون تردد دخل الفتحة على اليمين وتوارى وراء الستار ، وعزم على أن يظل هنا يراقب كل شىء من بين الفجوات فى القماش الممزق . رأى (تومى) القادم الجديد الذى بدا كأحد فضلات المجتمع ، بفكه الإجرامى الضخم وحاجبيه الخفيضين ، وهو سمت لابد أن رجال سكوتلاندرياد يعرفونه جيدًا .. طرق الرجل الباب بنفس النغمة فجاء من الداخل صوت يدعوه للدخول . ولمح (تومى) الحجرة لثانية كافية كى يعرف أن بها منضدة طويلة جلس حولها ثلاثة أو أربعة رجال . وكان فى المركز رجل ملتح كل شىء فيه يوحى بأنه ألمانى ..

بعد قليل جاء رجل من نوع مختلف ، حزر (تومى) أنه من طراز المناضلين الإيرلنديين الذين يطالبون

باستقلال إيرلندا عن إنجلترا .. (شين فين) كما يقولون .. إن منظمة مستر (براون) واسعة الانتشار حقًا .. لدينا ألمانى يدير الجلسة ، ولص عادى ، ومناضل إيرلندى ، وروسى ..

جاء ثلاثة آخرون بالطريقة ذاتها ، ثم ساد الصمت .. وخمن (تومى) أن العدد اكتمل الآن ..

هنا سمع دقة جديدة ، وصعد الدرج رجل رشيق الحركة متأنق إلى درجة تعطيه مسحة أنثوية .. ولاحظ (تومى) أن للرجل مسحة سلافية لا يخطئها المرء .. توقف الرجل أمام الستار ونظر له نظرة ثاقبة ، فارتجف (تومى) .. من العسير أن يصدق أن الرجل لا يرَى من وراء الستار . لقد كانت نظرات الرجل الناعمة شبيهة بنظرات الأفاعى ..

دق الرجل الباب ، وهنا انفتح الباب ، ووثب الكل على أقدامهم .. حتى الألمانى الذى يدير الجلسة هرع إليه وصافحه بكلتا يديه وهو يردد فى حماس :

- « لنا الشرف .. لنا الشرف !! خشيت أن يكون هذا مستحيلاً »

قال الآخر بصوت خفيض فيه بعض الفحيح :

- « كان هذا عسيرًا ، وأحسبه ليس فى وسعنا ثانية ، لكن كان لابد من أن أحضر اجتماعًا واحدًا من أجل مستر (براون) .. هل هو هنا ؟ »

تغيرت لهجة الألمانى وهو يقول :

- « للأسف لم يستطع المجىء بسبب ظروف خاصة ..»

قال الآخر وهو ينظر حوله :

- « آه .. لقد قرأت عن أساليبه .. إنه يتحرك فى الظلام ولا يثق بأحد ، لكنى أجد من المحتمل أن يكون بيننا الآن .. ولكن لا فارق هناك .. دعونا نبدأ .. »

وعلى الفور انغلق الباب فى وجه (تومى) الذى وجد نفسه فى الظلام .. تحرك فضوله بشدة وشعر بحاجة ماسة إلى سماع المزيد .. وعلى الفور اتجهت خواطره إلى الغرفة المجاورة لغرفة الاجتماعات ..

كانت غير موصدة ومظلمة ، وبدا له من أثاثها أنها كانت غرفة نوم قبل أن تصير آية فى القذارة والإهمال .. دخل إليها وبحث عن هدفه .. حقًا كان

هناك باب موصد يصل ما بين الحجرتين .. ألصق أذنه بالباب وراح يصغى ..

كانوا يتحدثون عن إضراب قادم يتم تدبيره يوم ٢٩ من الشهر الحالى .. إضراب يقوم به العمال وينظمه حزب العمل .. المشكلة كانت أن رجال حزب العمل مخلصون صادقون ولن يلبثوا طويلاً حتى يدركوا الحقيقة وينضموا إلى الحكومة ..

وبدا واضحًا من كلام الألمانى أن التحالف مع قادة حزب العمل سيتم فقط حتى تحدث ثورة تجتاح إنجلترا ، ثم التخلص منهم .. وكان الضمان الوحيد لإخلاص رجال حزب العمل هو وثيقة .. وثيقة من نوع معين لو أذيعت لاهتزت الحكومة واشتعلت النار فى البلاد .. لكن الوثيقة لم تكن مع هؤلاء .. كانت مع فتاة .. والفتاة لا يعرف أحد بدقة أين هى ..

كان (تومى) فى مكمنه يصغى باهتمام شديد ، لكنه لم يستكمل سماع التفاصيل لأن ضربة قوية هوت على مؤخرة رأسه ، فلم يعد يدرى أين هو ..

* * *

الفصل التاسع

(توبينس) تلتحق بالخدمة المنزلية

حين انطلق (تومى) فى إثر الرجلين ، احتاجت (توبينس) إلى كل إرادتها كى لا تتبعه . لكن كان السؤال هو : ماذا أفعل بعد هذا ؟ وكانت (توبينس) تمقت ترك العشب ينمو تحت قدميها . فى أثناء جولتها فى مدخل البناية ، تعرفت عامل المصعد صغير السن .. أوهمته أنها من المخابرات الأمريكية ، وأقنعته بأنها تراقب من تدعى (مارجريت فاندمير) لأن أحد ملوك الماس يتهمها بسرقته .. هنا عرفت من الصبى المندهش أن (مارجريت) هذه بحاجة إلى خادمة جديدة ..

وهكذا اختمرت الفكرة فى ذهن (توبينس) .. مرت على بعض المحلات فابتاعت بعض الثياب المستعملة ، ثم قصدت الحلاق فقامت بصبغ شعرها ، وعادت إلى

البيت فى السادسة مساءً ، فزججت حاجبيها وغيرت مظهرهما بقلم كحل .. وهكذا تبدل مظهرهما تمامًا حتى بالنسبة لمستر (وتنجتون) نفسه ..

بقى أن ترتدى المريولة والكاب فى أثناء العمل ، ولسوف يبدل هذا مظهرها كلية .. وكانت تعلم من خبرتها أن المرضى قلما يتعرفون الممرضة حين يلقونها بدون الثياب الرسمية خارج المستشفى ..

وحدها تناولت العشاء مندهشة لعدم عودة (تومى) .. كان بوسعه أن يتصل بها أو أى شىء .. هذا غير عادل ، وهى توشك على الانفجار بالأخبار وما من واحد تخبره .. لكنها على كل حال أبلغت (كارتر) عن طريق رسالة حملها إليه صبى ..

وأخلدت للنوم وهى غارقة فى خواطرها ..

جاء الصباح بمذكرة من مستر (كارتر) :

« عزيزتى مس (توبينس) :

« لقد قمت ببداية رائعة وإننى لأهنئك .. ولكننى أعيد تحذيرك من الخطر الداهم الذى يحيق بك .

هؤلاء القوم يائسون عاجزون عن الرحمة أو الشفقة . أشعر أنك تقللين من خطر الأمر لذا أعيد تحذيرك ، وأكرر أننى لا أمنحك أية حماية . لقد قدمتما لنا معلومات طيبة وأكرر أنه لو أردتما الانسحاب الآن فلا تثريب عليكما .

« إذا صممتما برغم كل شىء على الاستمرار فستجدان كل شىء معدًا . لقد عملت لمدة عامين لدى مسز (دوفرين) زوجة القس ، ويمكن لمسز (فاندمير) أن تستعلم منها عنك .

« أقترح كذلك أن تتمسكى بالحقيقة قدر الإمكان ولا تزعمى ما ليس فيك ، فهذا هو الشىء الوحيد الذى يبرر ما قد يصدر منك من حركات أو عبارات لا تصدر من خادمة . والقرار على كل حال قرارك »

« المخلص . مستر كارتر »

رفع خطاب (كارتر) معنوياتها لكنها لم تبال بتحذيره ، لأنها كانت عظيمة الثقة بنفسها . كانت تعرف براعتها فى التمثيل ، لكنها فهمت المنطق الواضح فى كلماته .

وفى الحادية عشرة اجتازت (توبينس) جديدة تغيرت فى كل شىء ، مجموعة المبانى فى (أودلى) .

ودهش صبى المصعد حين رأى تنكرها فقالت له :

ـ « تذكر يا (ألبرت) أننى ابنة خالتك .. »

وطلبت منه الصعود بها إلى الشقة رقم ٢٠ وفتحت لها الباب شابة حسناء ، فقالت لها :

ـ « جئت للعمل بهذا المكان »

قالت الفتاة بلا تردد :

ـ « هذا مكان متعفن .. امرأة عجوز كثيرة التدخل .. اتهمتنى بالعبث بخطاباتها .. أنا !! برغم أنها تتخلص من كل شىء حرقًا .. ثياب أنيقة لكنها ليست امرأة راقية .. الطباخة تعرف عنها أشياء كثيرة لكنها لا تتكلم .. تخافها حتى الموت ! »

هنا جاء صوت نقى معدنى ينادى الفتاة :

ـ « (آنى) ! »

وثبت الفتاة كأنما رميت بالرصاص :

- « نعم يا مدام ! »

- « مع من تتحدثين ؟ »

- « ثمة شابة جاءت للعمل هنا يا مدام »

- « إذن هاتيها .. الآن »

وفى غرفة فى نهاية الممر وقفت امرأة أمام المدفأة .. لم تعد شابة بالتأكيد ، والجمال الذى كان لها بلا ريب قد استحال خشونة وصلابة .. من المؤكد أنها فى شبابها كانت تبهر الأنفاس . عيناها الزرقاوان لهما القدرة على اختراق أعماق أى شخص تلقاه ، وبرغم ملائكية وجهها فإنك تشعر على الفور بشىء ما يتهددك .. وشعرت (توبينس) بذعر حقيقى .. وتخلت عنها ثقتها المعتادة بالنفس .. وأدركت أن خداع هذه المرأة أصعب بكثير مما كان خداع (وتنجتون) .. أشارت مسز (فاندمير) إلى مقعد وقالت :

- « يمكنك الجلوس .. كيف عرفت أننى بحاجة إلى خادمة ؟ »

- « عن طريق صديقة تعرف عامل المصعد هنا .. »

وحكت للمرأة قصة حياتها باختصار متوخية الصدق قدر الإمكان ، فطلبت منها المرأة أن تبدأ العمل على الفور وتجلب حاجياتها .. ثم سألتها عن اسمها فقالت :

- « برودنس كوبر يا مدام »

- « حسن يا (برودنس) .. ستجدين هذا مكانًا سهلاً لأننى خارج البيت أكثر الوقت .. أجرك خمسون أو ستون جنيهًا لايهم .. والآن ستريك الطاهية كل شىء .. »

شكرتها (توبينس) وخرجت ..

لكن حماستها تبددت كثيرًا .. وخطر لها أنه لو وقعت (جين فين) فى يدى هذه المسز (فاندمير) فإن فرصتها فى النجاة معدومة ..

* * *

الفصل العاشر

يدخل سير (جيمس بيل إدجرتون)

كانت (توبينس) تجيد أعمال البيت تمامًا لذا لم تخش أن تبدو غير مناسبة للعمل ، وكان عليها كبداية أن تعد المائدة لاثنين من أجل ضيف قادم هذه الليلة .. وكانت قلقة بصدد هذا الضيف ، وخطر لها أنه قد يكون مستر (وتنجتون) نفسه .. كانت مطمئنة لتنكرها ، لكنها كانت تكون أكثر راحة لو أن الضيف برهن على أنه غريب ..

بعد الثامنة دق جرس الباب فذهبت لتفتحه ، وسرها أن القادم كان الآخر من الرجلين اللذين ذهب (تومى) يقفوا أثرهما .. الرجل الذى عرف (تومى) أنه روسى .. وقدم لها نفسه باسم كونت (ستيبانوف) ..

استقبلته مسز (فاندمير) قائلة فى حبور :

- «من اللطيف أن أراك يا (بوريس فلاديميروفتش) »

جلس الرجل على مائدة العشاء ، ودارت محادثات عادية تافهة بينه وبين السيدة عن الطقس والأزياء وفضائح المجتمع ، وراحت (توبينس) تؤدى عملها فى تقديم الطعام محاولة أن تسمع كلمة تهمها .. فقط سمعت الرجل يقول للسيدة همسًا وقد حسبها لا تسمعه :

- « جديدة .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. »

- « وهل هى مأمونة ؟ »

- « بالتأكيد يا عزيزى .. كف عن القلق .. »

وعادت (توبينس) إلى المطبخ حيث كانت الطاهية تمارس عملها ، وقد فهمت من البداية أن الطاهية تخشى مسز (فاندمير) كالشيطان ذاته . انتهى العشاء فانتقلت السيدة بضيفها إلى قاعة الجلوس ، واسترخت على الأريكة وراحت تتبادل حديثًا هامسًا



ومن النافذة هناك كان بوسعها أن تسمع جل المحادثة ..

مع الرجل . وهنا نهض الرجل وأحكم غلق الباب كى لا يسمعهما أحد . خطرت فكرة لا بأس بها فى ذهن (توبينس) .. هرعت إلى غرفة نوم السيدة ففتحت نافذتها وخرجت منها ، إلى شرفة طويلة تمتد حتى غرفة الجلوس ، ومن النافذة هناك كان بوسعها أن تسمع جل المحادثة . كان الرجل يوبخ المرأة :

ـ « إن قلة حرصك ستوردنا مورد الهلاك .. أنت تمضين الوقت مع (بيل إدجرتون) .. وهو ليس فقط أشهر مستشارى الملك فى إنجلترا ، بل هو كذلك يهوى دراسة علم الجريمة ! ياله من اختيار موفق ! »

ـ « وماذا فى ذلك ؟ لقد أنقذ رقابًا كثيرة من المشنقة ، ومن المفيد أن يظفر المرء برجل كهذا لعلى أحتاج إليه يومًا فى المحكمة .. »

قال الروسى الذى استبد به الغضب :

ـ « أنت امرأة بارعة يا (ريتا) لكن يجب أن تسمعى كلامى .. تخلى عن صداقة (إدجرتون) هذا .. يقولون إنه يشم المجرمين عن بعد ، وإن اهتمامه المفاجئ بك لا يريحنى »

- « حسن .. وأنا أرفض .. »

- « ستدفعين الثمن إذن .. »

قالت المرأة بهدوء :

- « تذكر أننى لا أتلقى أوامرى من أحد إلا مستر (براون) شخصيًا .. »

- « ما من أحد فى إنجلترا درس الجريمة مثله .. هل تحسبين أنك قادرة على خداعه ؟ »

- « أحب أن أجرب .. ثم إنه ثرى ، وأنا لست بالمرأة التى تزدرى المال .. والآن أطلب الخادمة لتحضر لنا الشراب »

وهكذا هرعت (توبينس) عائدة إلى مكانها ، وأجابت الطلب فى أدب ..

كانت المحادثة التى سمعتها مهمة جدًا لأنها تظهر تورط (بوريس) ومسز (فانديمير) فى الأمر ، لكنها لم تفدها كثيرًا بالنسبة لمعرفة أين ذهب (تومى) ، كما أن اسم (جين فين) لم يذكر قط ..

وفى الصباح أخبرها صبى المصعد أنه ما من خطابات من تومى لها فى مكتب البريد . جعل هذا يدًا باردة تعتصر قلبها .. بالتأكيد هناك شىء خطأ ..

عند الظهيرة بينما هى تلمع الفضة ، دق جرس الباب فذهبت لتفتحه . لم يكن القادم هو (وتنجتون) أو (بوريس) ولكنه رجل طويل القامة تشع من وجهه مغناطيسية غريبة كلها قوة وسيطرة بما يفوق الوصف .. وأعطاها اسمه فإذا هو سير (جيمس بيل إدجرتون) ..

عادت لأعمالها شاردة الذهن .. الآن يمكنها فهم مخاوف (بوريس) . لا يمكن اعتبار هذا الرجل سهل الخداع .. لقد أثر مظهره فيها بحق .. بعد قليل دق الجرس ، فهرعت لتعطيه قبعته ومعطفه كما هو معتاد .

لاحظت أن عينيه تتأملانها بدقة وعناية ثم سألها :

- « لم تمارسى هذا العمل طويلاً .. هه ؟ »

رفعت حاجبيها مدهوشة ، ثم هزت رأسها كأنما أجابت بالفعل ، وسألته :

- « هل أخبرتك السيدة بذلك ؟ »

- « لا يا طفلتى .. إنه مظهرك الذى أوحى بذلك .. هل المكان طيب هنا ؟ »

- « جدًا .. شكرًا يا سيدى .. »

- « لكن هناك أماكن كثيرة متوافرة اليوم ، والتغيير لا يضر .. »

- « هل تعنى يا سيدى ؟ »

لكنه كان بالفعل على أول درجة من درجات السلم ، ونظر لها نظرة متفهمة وقال :

- « مجرد تلميح لا أكثر ياطفلتى .. مجرد تلميح .. »

وعادت إلى المخزن شاردة الذهن بقوة ..

* * *

الفصل الحادى عشر

الصديق وقت الضيق

فى يوم العطلة - الجمعة - أرسلت خطابًا إلى مستر (كارتر) تخبره فيها بكل شىء ، وطلبت منه أن يساعدها فى العثور على (تومى) . بعد هذا اتصلت بالمستر (هيرشايمر) فاكتشفت أنه ظل متغيبًا عن البيت حتى صباح اليوم ، ولم يعد إلا منذ نصف ساعة . ذهبت إليه وسألته عن (تومى) لكنه لم يكن يملك إجابة ، وكل ما يعرفه عن الموضوع هو أن الفتى اتصل به من المحطة وطلب منه اقتفاء أثر (وتنجتون) .

كانت لديه بدوره قصة مسلية عن مغامرته فى اقتفاء أثر الرجل بالقطار ، ثم إلى أحد فنادق (بورنماوث) ، ثم فى شوارع (بورنماوث) ذاتها ، حتى اضطر إلى تسلق شجرة يراقب منها حديثه مع

ما بدا له ممرضة إنجليزية .. كان هذا حين تحطم غصن الشجرة وهوى أرضًا ليلتوى كاحله .. وقضى يومًا فى مصحة خاصة ثم عاد أدراجه إلى (لندن) ..

تلقت (توبينس) رسالة من مستر (كارتر) يخبرها فيها بأنه لايستطيع عمل شىء من أجل (تومى) .. إنه آسف لكن الاتفاق هو الاتفاق .. لو حدث لها أو للفتى شىء فلا دخل لـ (كارتر) بالموضوع .. كانت هذه إجابة باردة ، لأنه من دون (تومى) ولّى كل سحر للمغامرة ، وللمرة الأولى لم تعد واثقة من النجاح .. من دونه تشعر كأنها سفينة بلا دفة ، ومن الغريب أن (جوليوس) ـ الذى يفوق (تومى) براعة ـ لم يعطها هذا الشعور .

كان (تومى) أكثر منها تشاؤما وبطيئًا لكن تفكيره صاف وموثوق به . للمرة الأولى لم تبد لها المغامرة كلعبة رومانسية طريفة بل لها كل جهامة الواقع وقسوته .

فكرت فى السير (جيمس بيل إدجرتون) ، وفى التحذير الذى قدمه لها .. كان الإغراء شديدًا كى

تصارحه بكل شىء .. وجدت عنوانه فى دليل الهاتف ، وصممت على أن تزوره يوم الأحد فى موعد خروجها لتفهم منه أكثر .. ستزوره مع (جوليوس) مهما كانت اعتراضات هذا الأخير ..

وبعد إقناع مستمر ، أخذها (جوليوس) إلى العنوان المذكور . قرعت الباب ففتح لها الباب رئيس خدم راق لايشوبه شىء ، وجعلها هذا عصبية نوعًا . اقتادهما إلى غرفة فى مؤخرة البيت مفروشة كمكتبة امتلأت رفوفها بكتب علم الجريمة .. وكان سيد البيت جالسًا أمام النافذة وأمامه مجموعة هائلة من الأوراق .

تعرفها الرجل على الفور ورحب بها فقدمت له مرافقها الأمريكى . ثم سألته :

ـ « سيدى .. أحسب من الوقاحة أن آتى لدارك هكذا ، لكنى أحسب ما قلته لى فى لقائنا السابق كان نوعًا من التحذير من مسز (فاندمير) .. هل كان كذلك أم لا ؟ »

ـ « ربما كان الأمر كذلك يا طفلتى .. »

ـ « حسن .. أريد أن أعرف لماذا قلت هذا ؟ »

ابتسم الرجل من جديتها ، وقال :

ـ « فلنفرض أن السيدة أقامت دعوى ضدى للتشهير بها ؟ »

ـ « أعرف أن المحامين حذرون دائمًا .. لكن افرض أننا قلنا (بلا إجحاف) قبل أن نسمع ما لديك ؟ »

قال المحامى :

ـ « بلا إجحاف .. لو كانت لدى أخت صغيرة تعمل فى بيت مسز (فاندمير) ولا تملك خبرة ، فإننى سأقول لها الشىء ذاته .. هل هذا مفهوم ؟ »

قالت (توبينس) :

ـ « لست معدومة الخبرة إلى هذا الحد يا سيدى .. ولنقل إننى اخترت بيت مسز (فاندمير) وأنا أعرف أنها إنسانة سيئة .. بل اخترته لأنها كذلك » ـ بدت الحيرة على وجه المحامى ، فأضافت ـ « سأحكى لك

كل شىء يا سيدى ، وأعرف أنك خلال دقائق ستعرف ما إذا كانت قصتى صادقة أم لا .. »

وبدأت تحكى كل شىء والمحامى يصغى لها بعناية ، فلما انتهت قال لها :

ـ « ممتاز .. ليس هناك تقريبًا شىء فى القصة غير معروف لى ، لكنى ألوم المستر ـ ماذا تسمونه ؟ ـ (كارتر) على إقحام شابين مثلكما فى قصة كهذه .. لا تتضايقى إذا قلت إنكما صغيران جدًا .. إن الشباب إخفاق لكنك سرعان ما تنتصرين عليه .. بالنسبة لصديقك (تومى) هذا فمن الواضح أنه كان يعبث حيث لا ينبغى أن يعبث .. وقد سقط فى الشرك .. لا شك فى هذا .. »

قالت له ملهوفة :

ـ « هل ستساعدنا إذن ؟ »

ابتسم وقال :

ـ « طبعًا .. الحقيقة أننى كنت قد حزمت حاجياتى للذهاب إلى أسكتلندا للصيد .. لكن الصيد أنواع ..

سأبقى هنا ، وأقول لك إن هنـاك شـخصًا يعـرف بالتـأكيد مكـان (تومـى) أو يعـرف أيـن يمكـن أن يكون (تومى) .. »

- « ومن هو ؟ »

- « مسز (فانديمير) .. إنها لن تتكلم بسهولة لكننـى أحسبنى قـادرًا علـى جعلهـا تتكلـم ، فـإن لـم يصلح هذا يظل احتمال الرشوة .. »

هنا ضرب (جوليوس) المنضدة بقبضته وصاح :

- « هنا يأتى دورى .. سـأدفع لهـا مليون دولار .. مليون دولار كى تتكلم ! »

نظر له المحامى مدققًا بضع دقائق ثم قال :

- « مستر (هيرشايمر) .. هذا مبلغ كبير جدًا .. »

- « لابد من أن يكون كذلك .. هؤلاء القوم ليسـوا من الطراز الذى يتكلم لو عرضت عليه ستة بنسات .. »

ابتسم المحامى ، ثم طلب من (تويبنس) ألا تعمل أى شىء حتى العـاشرة مسـاء وهـو الموعـد الـذى

تعود فيه المرأة من الخارج بعـد العشـاء .. سيكون هو معها وقتها ، ولسـوف يعرض عليهـا أن تخبره بكل شىء ..

وهكذا خرجت (تويبنس) تحـاول السيطرة على قلقها وتوترها .. مشـت نحـو (هـايد بـارك) وهـى لاتدرى كيف تمضى الساعات الباقية .. هنا فوجئـت بصبـى المصعد (ألبـرت) يركـض نحوهـا ووجهـه محمر انفعالاً .

- « يا آنسة ! إنها راحلة ! »

- « من ؟ »

- « (ريتا) .. مسز (فانديمير) .. إنهـا تحـزم حقائبها وطلبت منى أن أعثر لها على سيارة أجرة ! »

اعتصرت ذراعه غير مصدقة ، ثم هتفت :

- « (ألبرت) .. أنت لاغنى عنك .. كنا سنفقدها لولاك ! »

وقالت له وهى تعبر الشارع :

ـ « لا يمكن أن أفقدها بأى ثمن .. (ألبرت) .. اذهب لتتصل بفندق (ريتز) واسأل عن مستر (هيرشايمر) ، وقل له أن يجلب السير (جيمس) ويجيء حالاً .. لأن مسز (فانديمير) تحاول الهرب .. لن تنسى الأسماء .. أليس كذلك ؟ »

ـ « ثقى بى يا آنسة .. لكن ماذا عنك ؟ ألا تخشينها ؟ »

ـ « نعم .. نعم .. والآن اذهب واتصل .. اسرع »

وهرعت إلى المنزل رقم ٢٠ وهى ما زالت تتساءل عن سبب هذا الرحيل المفاجئ .. أترى المرأة شكت فيها ؟ وضعت يدها على الجرس وضغطت مرتين حتى انفتح الباب .. كانت هذه مسز (فانديمير) فلما رأتها رفعت عينيها فى دهشة وقالت :

ـ « أهذه أنت ؟ »

قالت (توبينس) فى عفوية :

ـ « شعرت بألم فى أسنانى يا مدام ، فقررت أن أعود إلى البيت وأستريح »

ـ « هذا سيئ .. ليكن .. يمكنك أن تدخلى الفراش حالاً .. »

ـ « لو دخلت المطبخ يا سيدتى فلربما استطاعت الطباخة أن ... »

ـ « الطباخة ليست هنا ! يجب أن تدخلى فراشك ! »

فجأة شعرت (توبينس) بالرعب .. كادت تتكلم ، لكن معدنا باردًا التصق بصدغها ، وسمعت المرأة تقول بصوت مخيف :

ـ « أيتها البلهاء ! هل حسبتى لا أعلم ؟ لا ... لا تتكلمى .. لو تحركت لفجر هذا المسدس رأسك ! »

ثم ضغطت بالمسدس أكثر وهمست :

ـ « هيا .. ستدخلين غرفة نومى .. وبعدما أفرغ منك ستنامين نومًا طيبًا ! »

لم يكن بوسع (توبينس) إلا أن تمشى معها إلى غرفة النوم ، وكانت الحجرة فى حالة فوضى مفزعة ..

ـ « والآن اجلسى على الفراش وأبقى يديك فوق

رأسك .. أنت فتاة بارعة وقد خدعتنى تمامًا ، لهذا يمكنك تخمين أننى سأطلق الرصاص بسهولة تامة .. يجب أن تفهمى الآن من منا فوق ومن تحت .. »

لم تجد (توبينس) مناصًا من الاستجابة .. صبت مسز (فانديمير) قطرات من قارورة موضوعة على منضدة فى كوب ، وصبت فوقها بعض الماء ..

- « ما هذا ؟ »

- « شىء يساعدك على النوم .. »

- « هل هو سم ؟ »

ابتسمت المرأة فى إغراء ، وقالت :

- « ربما »

- « إذن لن أشربه .. أفضل الموت بالرصاص لأن هذا سيسمعه الناس ، لكنى لن أتركك تقتليننى فى صمت كالحملان »

ضربت المرأة الأرض بقدمها فى عصبية :

- « لاتكونى حمقاء .. أنا لا أريد ترك قتلى من

ورائى .. إن المنوم هو البديل لتقييدك وتكميمك ، وقد أفعل هذا لو اضطررتنى إليه .. فكونى فتاة طيبة واشربى هذا الكوب الآن .. »

كانت (توبينس) تصدقها فى أعماقها ، لكنها لم تطق فكرة تركها ترحل فى هدوء .. فهذه آخر فرصة لها للحاق بـ (تومى) .. وفى ثانية قدرت الموقف واتخذت قرارها .. إن هناك فرصة ، وعلى الفور هوت على ركبتيها أمام المرأة متوسلة باكية :

- « أنت تخدعيننى .. أعرف أن هذا سم ! »

قالت المرأة فى قسوة :

- « يالك من جبانة .. لا أدرى كيف جئت بالأعصاب التى خدعتنى بها .. هلمى يا بلهاء اشربى هذا .. »

- « هل تقسمين لى على أنه ليس سمًا ؟ »

- « أقسم .. والآن هيا .. »

انحنت (توبينس) وفتحت فمها ودنت من الكوب .. فى اللحظة التالية ضربت الكوب إلى أعلى فتناثر

السائل على وجه المرأة .. فى اللحظة ذاتها ركلت (توبينس) المسدس ليطير أرضًا .. ثم التقطته سريعًا لتصوبه إلى صدر مسز (فانديمير) ..

ـ « والآن من منا فوق ومن تحت ؟ »

كان وجه المرأة متقلصًا بالغضب ، وبدا أنها ستثب على الفتاة فى أية لحظة .. ثم قالت :

ـ « لست حمقاء بالتأكيد .. لقد لعبتها جيدًا »

ـ « يدهشنى انخداعك بسهولة .. هل حسبت حقًا أننى طراز الفتاة التى تركع وتتوسل طلبًا للرحمة ؟ »

قالت الأخرى بلهجة ذات معنى :

ـ « ستفعلين ذلك يومًا ! »

قالت (توبينس) وهى تأمر المرأة بالجلوس :

ـ « سنتحدث قليلاً .. »

ـ « عن أى شىء ؟ »

ـ « المال ! »

تذكرت ما قاله (وتنجتون) يومًا من أن (ريتا) هى من ثرثر غالبًا .. كما تذكرت ما قالته للروسى من أنها تحب المال .. هل تكون (ريتا) بحق هى أضعف نقطة فى نطاق التجسس هذا ؟

ـ « هل تحسبين أننى أبيع رفاقى ؟ »

ـ « بالتأكيد .. لو كان المبلغ مجزيًا .. »

ـ « شىء مثل مائة جنيه ؟ »

ـ « لا .. أتكلم عن مائة ألف جنيه ! »

عادتها فى الاقتصاد لم تجعلها تذكر المليون دولار بالكامل .. لكن بدا لها أن المرأة ابتلعت الطعم حقًا ..

وقالت لها فى تعاسة :

ـ « باه ! ليس معك هذا المبلغ .. »

ـ «حقًا ليس معى ..لكنى سأحصل عليه .. صدقينى، إن عرضى صادق .. والمال يملكه صديق لى »

- « وماذا يريد أن يعرف هذا الصديق ؟ »

- « يريد معرفة مكان قريبته (جين فين) .. »

- « لا أعرف أين هى حاليًا »

- « لكن بوسعك معرفة ذلك ؟ »

- « ليس صعبًا .. »

- « وهناك شاب صديق لى .. اسمه (تومى بيرسفورد) .. مختف منذ أيام .. »

- « لم أسمع عنه قط .. لكن (بوريس) يعرف بالتأكيد .. »

- « ثمة سؤال أخير .. »

ونهضت وأدنت وجهها من وجه المرأة وهمست :

- « من هو المستر (براون) ؟ »

للحظة ارتجفت ملامح المرأة ثم تماسكت .. واستعادت هدوءها وقالت :

- « لابد أنك لم تتجسسى علينا بما يكفى ، حتى تعرفى أنه ما من إنسان يعرف من هو مستر (براون) »

- « أنت تعرفين .. حدسى يقول لى إنك تعرفين »

التمعت عينا المرأة قليلاً واستحال صوتها منذرًا بالخطر وهى تقول :

- « أحيانًا يعرف المرء أمورًا تهدده بالخطر فيما بعد .. حتى الجدران لها آذان .. قولى لى متى يجىء هذا المال .. »

- « بأسرع ما يمكن .. »

ابيض وجه المرأة ذعرًا وهمست :

- « أنت لا تفهمين .. أنا لن أكون فى أمان أبدًا .. أنت لا تعرفينه .. هل سمعت شيئًا ؟ »

قالت (توبينس) فى ثبات :

- « لا أحد فى الشقة .. فكرى فقط فى المائة ألف جنيه .. »

فجأة وثبت المرأة وفردت ذراعيها واتسعت عيناها هلعًا .. ثم هوت على الأرض فاقدة النطق ، ونظرت (توبينس) إلى الوراء لترى ما أفزعها ، فوجدت (هيرشايم) والسير (إدجرتون) ..

★ ★ ★

الفصل الثانى عشر

السهر

كان السيد (إدجرتون) أول من هرع ليفحص المرأة ، وصاح حين تحسس نبضها :

ـ « إنه قلبها .. لابد أنها لم تتحمل رؤيتنا فجأة .. أحضرى لها شرابًا حالاً.. »

وتعاون السير مع (جوليوس) على حمل السيدة إلى الفراش ، وهناك رشا بعض الماء على وجهها ، ثم قدما لها بعض الشراب وحاولا دفع بعضه قسرًا بين شفتيها المضمومتين .. أخيرًا فتحت عينيها وبدأت تستجيب نوعًا . حاولت النهوض ثم سقطت ثانية وهتفت مغمضة العينين :

ـ « إنه قلبى .. ليس لى أن أتكلم .. »

ابتعد الثلاثة ووقفوا جانبًا يتهامسون .. من الجلى

أن أية محاولة لاستجواب مسز (فانديمير) لم يعد لها مكان هنا .. وحكت لهما (توبينس) كل شىء من المحادثة السابقة فتهلل (جوليوس) وقال :

ـ « هذا جيد .. أحسب أن مائة ألف جنيه ستبدو للسيدة فى الصباح بنفس السحر الذى كانت به فى المساء ... لا داعى للعجلة .. وهى لن تتكلم على كل حال ما لم تر المال .. »

قال سير (جيمس إدجرتون) :

ـ « لا أخفى عليكما أننى أتمنى لو لم نكن ظهرنا فى هذه اللحظة بالذات .. لكننا مرغمون على الانتظار حتى الصباح .. »

ونظر إلى المرأة النائمة فى الفراش وقال :

ـ « لابد من ترك أحد معها فى الشقة حتى الصباح .. ربما كان صبى المصعد الذكى هذا .. »

قالت (توبينس) :

ـ « إنه مجرد طفل .. ولو نهضتْ مصرة على الرحيل فلن يقدر على منعها .. »

قال السير (جيمس) :

ـ « بالإضافة إلى أنها تخشى المستر (براون) .. إن لدينا شاهدة غير عادية هنا ، وأعتقد أن من واجبنا حمايتها .. أقترح على الآنسة (توبينس) أن تدخل فراشها ، بينما أتقاسم أنا ومستر (هيرشايمر) السهر والحراسة .. »

دنت (توبينس) من الفراش وتأملت السيدة .. كان على وجهها قناع مخيف من الرعب والتوجس .. وتساءلت (توبينس) عما إذا لم تكن المرأة تمثل نوبة الإغماء هذه ؟ لكن الشحوب لا يمكن اصطناعه .. وأحست بأن المرأة تحاول أن تقول شيئًا :

ـ « لا ترحلى ... لا ... نائمة . »

ثم انغلق الجفنان من جديد ، هنا قالت (توبينس) فى إصرار :

ـ « لن أترك الشقة .. »

وخرجت إلى قاعة الجلوس حيث كان الرجلان جالسين .. فقال لها السير (جيمس) :

ـ « أقترح أن تغلقى الباب عليها بالمفتاح وتحتفظى به معك .. »

فعلت كما قال وسألتهما :

ـ « بالمناسبة .. كيف دخلتما إلى الشقة ؟ »

ـ « اتصل بنا الغلام الذكى وطلب منا المجىء .. وحين وصلنا كان يموت قلقًا عليك ، وقال إنه لايسمع شيئًا من الشقة .. اقترح علينا أن ندخل الشقة عن طريق مصعد الفحم الذى يقود إلى مخزن المطبخ .. وهكذا فعلنا .. إنه ينتظر تحت الآن ولابد أنه قلق جدًا .. »

عاد (جوليوس) من المطبخ بفطيرة وثلاث أطباق ، فتناولوا عشاء شهيًا ، ثم اقترح الرجلان عليها أن تنام لكنها كانت مصرة على البقاء متيقظة .. وسألها الرجلان عن مزيد من التفاصيل عن قصتها فحكت لهما كل شىء .. فى النهاية قال (جوليوس) :

ـ « الشىء الذى لا أفهمه هو سر انكشاف أمرك ..»

ـ « لا أدرى .. »

وساد الصمت لفترة طويلة ، ثم بدا سحر الليل يؤدى عمله .. صوت صرير وصوت قرقعة من قطع الأثاث .. الخ .. حتى إن (توبينس) وثبت فى مكانها وصاحت :

ـ « أنا متأكدة من أن مستر (براون) فى هذه الشقة معنا !! »

ابتسم (جوليوس) وقال :

ـ « لا أدرى كيف يمكنه هذا .. نحن هنا وباب الشقة موصد .. ليس بوسع أرضى أن يقدر على هذا .. »

وقال السير (جيمس) :

ـ « إن السهر ليلاً يورث الفزع .. إننا أقرب إلى شهود جلسة تحضير أرواح .. فقط من دون وسيط .. »

ومضى الليل ببطء ..

وجاء أول شعاع من الفجر يغمر العاصمة

البريطانية بمشهد قلما يراه الإنجليز .. وأزاح سير (جيمس) الستار فرأت (توبينس) الشمس وبدت لها كل مخاوف الليل واهية تمامًا .. صاحت :

- « مرحى ! هذا يوم عظيم ! سنجد (تومى) و (جين فين) .. سأطلب من مستر (كارتر) أن ينعم على بلقب (دام) . »

وفى السابعة صباحًا تطوعت (توبينس) بإعداد بعض الشاى ، وعادت بأربعة أقداح على صينية .. ثم طلبت من الرجلين أن يأتيا معها لإيقاظ السجينة حتى لا تحاول الهجوم عليها ..

فتحت الباب ووضعت القدح ثم فتحت النافذة لتدخل الشمس .. أعادت نداء المرأة مرتين بلا نتيجة .. نظرت إليها فوجدتها نائمة على ظهرها ، ولم يبد أنها تتنفس .. من الواضح أن مسز (فانديمير) لن تتكلم أبدًا بعد اليوم ..

صرخت منادية الآخرين ليريا ما رأته .. لقد ماتت المرأة منذ عدة ساعات .. فى الغالب ماتت وهى نائمة .. صاح (جوليوس) :

- « تبًّا .. يا له من حظ ! »

بدت نظرة غريبة فى عين السير (جيمس) وهو يقول :

- « فقط لو كان هذا حظًّا .. إنها كانت على وشك إخبارنا بمن هو مستر (براون) .. ثم ماتت .. هذا غريب .. »

- « ولكن كيف ؟ إن باب الشرفة مفتوح .. فهل ... ؟ »

هزت (توبينس) رأسها :

- « لا .. الباب يقود إلى شرفة طويلة تنتهى عند غرفة الجلوس حيث كنا جالسين .. »

اتجه (جوليوس) إلى الخزانة ففتحها .. تأخر دقيقتين وهو يتفحصها ثم أغلقها وعاد دون أن يعلق ..



صرخت منادية الآخرين ليريا ما رأته .. لقد ماتت المرأة منذ عدة ساعات .. فى الغالب ماتت وهى نائمة ..

بعد دقائق جاء طبيب شاب فحص المتوفاة ، وبدا واضحًا أنه يعرف السير (جيمس) جيدًا .. قال بعد الفحص :

- « فى الغالب هبوط قلب أو جرعة زائدة من منوم .. إن رائحة الكلورال تعبق جو الحجرة .. »

تذكرت (توبينس) الزجاجة التى حاولت مسز (فانديمير) جعلها تشرب منها .. كانت على حوض الغسيل ، وكانت مليئة لثلثيها حين رأتها أمس ..

الآن كانت فارغة .

* * *

الفصل الثالث عشر

(توبينس) تتلقى عرضًا

بفضل نفوذ السير (جيمس) لم يبد الطبيب شكوكًا كثيرة ، وقد اقتنع بأن المرأة توفيت في الغالب نتيجة نوبة قلبية .. لكنه سيتصل بالسير (جيمس) لو جد جديد . تم استدعاء ممرضة ، ثم غادر الأصدقاء المبنى الكريه .

كانت معنوياتهم غايةً فى السوء ، وأعلن السير (جيمس) أنه لايجد طريقًا آخر يمشون فيه ، لهذا هو مصمم على الذهاب إلى أسكتلندا كما كان يعتزم .. وطمأن (توبينس) أن الخطابات ستصل إليه تباعًا هناك ..

ما إن انصرف حتى قال (جوليوس هيرشايمر) فى أسى :

- « أشعر أنا الآخر بأننى لن أجد (جين) أبدًا .. ربما كان على أن أعود إلى الولايات .. »

صاحت فى هلع :

- « لا ! إن علينا أن نجد (تومى) .. »

- « نعم .. كدت أنسى هذا .. هل لى فى سؤال ؟ أنت و(تومى) .. هل أنتما ؟ »

- « أنت مخطئ .. أنا و(تومى) صديقان لا أكثر .. »

- « أعتقد أن كل عاشقين قد قالا كلمات متشابهة عن علاقتهما يومًا ما .. »

- « هل تحسبنى طراز الفتاة التى تحب كل شخص تقابله ؟ »

- « بل أحسبك طراز الفتاة التى يحبها كل شخص يقابلها ! »

- « هل هذه مجاملة ؟ »

- « ربما .. إننى أتكلم عن الزواج .. لو لم يعد (تومى) فلسوف تكونين مجرد طفلة وحيدةً فى هذا العالم ، وأنا ثرى بحق .. أحترمك بحق .. ولو قلت الكلمة السحرية لذهبنا حالاً إلى أفضل جواهرجى فى (لندن) لنبتاع اللازم من أجل هذه الصفقة .. »

ـ « لا .. لا .. »

ـ « هل هو من أجل مستر (بيرسفورد) ؟ »

ـ « لا .. لا أريد تقديم مبررات لكننى مع الشكر أجد نفسى مسوقة لأن أقول لا .. »

قال فى تهذيب :

ـ « سأكون شاكرًا لو أرجأت الرد حتى الغد .. »

صعدت إلى حجرتها وقد أرهقتها المواجهة مع شخصية (جوليوس) القوية .. يا لك من بلهاء ! ها هى ذى الفرصة الكاملة قد جاءتك وهى لن تعود أبدًا ، وبرغم هذا تقولين لا كنعجة غبية .. بحثت عن صورة (تومى) الموضوعة على التسريحة وراحت تغرقها بدموعها :

ـ « آه يا (تومى) ! أنا أحبك .. أحبك ومن الواضح أنك لن تعود ! »

حمقاء أخرى هى أنا .. واضح أننى سأنام بصورته تحت الوسادة وأحلم به طيلة الليل .. ما كنت أحسب

نفسى هذه البلهاء ، وكم هو مشين أن يخون المرء مبادئه ..

راحت تتأمل المرآة وصورتها .. وتتذكر أحداث الليلة الماضية الغامضة ..

فجأة كأنما كانت غافلة طيلة الوقت تنبهت لفكرة .. اتسعت عيناها وشحب لونها ، واتسعت حدقتاها .. مستحيل .. مستحيل ! لكن هذه هى الفكرة الوحيدة التى تفسر هذا كله .. يا للغرابة !

أخرجت مفكرة وخطت رسالة إلى (جوليوس) ثم هرعت إلى جناحه .. كما توقعت لم يكن هناك فتركتها له ، ثم عادت إلى غرفتها لتجد ساعيًا ينتظرها على الباب ومعه برقية ..

كانت البرقية من (تومى) ..

* * *

الفصل الرابع عشر

المزيد من مغامرات (تومى)

من ظلام تضيئه طعنات من نار ، استرجع (تومى) حواسه . وحين فتح عينيه أخيرًا لم يع إلا ألمًا فظيعًا فى فوديه . أين هو ؟ ماذا حدث ؟ ماسر هذا الألم فى رأسه ؟

ثم تذكر ! بالتأكيد كان فى ذلك البيت المشئوم حين زحف أحدهم وراءه وضربه ..

سمع من يقول :

ـ « إنه يستعيد وعيه الآن .. »

عرف فى هذا صوت الألمانى الملتحى .. وقرر أن يكسب وقتًا .. إنهم الآن يعرفون أنه جاسوس ولن يضيعوا وقتًا قبل التخلص منه ..

ـ « هل أنت بخير ؟ »

ـ « نعم .. أشكرك .. »

كان نائمًا على أريكة فى حجرة الاجتماع وهم يحيطون به .. قال الألمانى وهو يشير إلى الحارس الشرس الذى أدخل (تومى) :

ـ « يا عزيزى .. من حسن حظك أن جمجمتك بهذا السمك .. لقد ضربك (كونراد) العزيز بعنف حقيقى .. »

ثم أضاف وهو ينظر إلى الآخرين :

ـ « هل لديك ما تقوله قبل الموت ؟ »

ـ « أنا لا أنوى أن أموت بسهولة .. »

ـ « وهل لديك أسباب تمنعنا من قتلك لأنك جاسوس ؟ »

ـ « نفس الأسباب التى منعتكم من قتلى وأنا فاقد الوعى .. تريدون معرفة ما لدى من معلومات .. ولو مت لن يكون هذا متاحًا .. »

كان يتصرف عالمًا أن توقد ذهنه هو ضمانه

الوحيد للخروج من هنا .. وهو ككثير من الشباب الإنجليز لايظهر معدنهم الحقيقى إلا حين يكونون فى ورطة .. لهذا تجاهل ضربات قلبه المتسارعة وقال بثقة وهدوء :

- « هل أبدو خائفًا من الموت ؟ واضح طبعًا أننى أعرف أنكم لن تقتلونى .. إن لدى ضمانًا مهمًا لحياتى ، وهذا الضمان يضعنى فى موقف يسمح لى بطلب مساومة .. »

- « مساومة ؟ »

تصاعدت صيحات الاستنكار من الرجال ، فقال بنفس الهدوء :

- « نعم .. حياتى وحريتى مقابل أوراق كانت فى حوزة من يدعى (دانفرز) على ظهر (لوزيتانيا) .. أنتم لن تقتلوا الدجاجة التى تبيض ذهبًا »

- « وإذا رفضنا ؟ »

- « إن يوم التاسع والعشرين لايبعد إلا يومًا واحدًا .. »

نظر الرجل إليه ثم تبادل النظرات مع الرجال .. وأمر (كونراد) بأن يصطحبه خارج الغرفة ريثما يتداول مع الآخرين .. خرج (تومى) وهو يرمق (كونراد) المفترس المتعطش لسفك دمه . مرت دقائق طويلة ثم سمعهم يستدعونه إلى الحجرة ، فقال لنفسه : صدر الحكم .. فقط لنأمل ألا يكون القاضى واضعًا قلنسوته السوداء ..

فى الداخل استقبله الألمانى وقال له ببرود :

- « سنجرب ما لديك .. لكننا لن نطلق سراحك حتى نحصل على الأوراق .. »

- « ولكن كيف أحصل عليها دون أن أخرج ؟ إنها ليست معى بالتأكيد .. »

ابتسم الرجل وقال :

- « وهل تعتقد أننا سنصدق قصتك ببساطة ونتركك ترحل ؟ ماذا بوسعنا أن نفعل إذن ؟ ليس لديك الخيار .. إما الأوراق أو الموت .. »

- « إذن أرسلوا معى (كونراد) .. إنه كما أرى متأهب لاستعمال قبضته .. »

- « نفضل أن تبقى هنا ، ولسوف تعطى تعليماتك لواحد منا كى يجلب الأوراق . »

- « لابد لى من أن أقابل (جين فين) كذلك .. »

- « ولماذا ؟ »

- « أريد أن أسألها عن شىء معين يتعلق بالأوراق .. »

ابتسم الرجل ابتسامة غامضة وقال بلكنته الألمانية الباردة :

- « يخيل لى أنك لا تعرف بالقدر الذى أقنعتنا أنك تعرفه . »

توتر (تومى) .. أتراه ارتكب خطأ ما فى الكلام يدل على جهل ؟ لم يعد واثقًا بنفسه إلى هذا الحد ، لهذا قال مستدركًا :

- « لا أزعم أننى أعرف كل شىء عن الموضوع .. لكنى أعرف ما يهمكم .. »

قال الألمانى وهو يشير إلى (كونراد) :

- « ستأخذه يا (كونراد) إلى الطابق العلوى .. الغرفة التى تعرفها .. أما أنا فسأحاول ترتيب لقاء بينك وبين (جين فين) .. ولسوف نعرف سريعًا إن كنت مجرد مخادع أم أنك تعرف شيئًا حقًا »

كانت الغرفة مظلمة تمامًا خالية من الهواء لأنه لا نوافذ فيها .. وسمع (تومى) المفتاح يدور فى الباب من الخارج .. كان رأسه يؤلمه والجوع يمزقه .. وقد بدأ الآن يدرك أن موقفه خطر لامخرج منه ..

قرر أن يترك الأمر للظروف ما دام على كل حال سيلقى المدعوة (جين فين) ..

* * *

الفصل الخامس عشر

أنيت

بدأت مخاوف المستقبل تتلاشى أمام مشاكل الحاضر .. كان الجوع يمزق أحشاءه الآن .. وكان شابًا سليمًا يتمتع بشهية طيبة ، ويعرف أنه لن يفوز فى أى إضراب عن الطعام .. أتراهم يعذبونه بالجوع ؟ ربما كانت هذه من تلك الطرق السحرية التى يرغمون بها سجينًا على الكلام ..

نظر فى ساعته الفوسفورية ووجد أنها التاسعة ، والغداء بدا الآن كأنما أكله منذ عقود .. وأدرك فى جزع أنه لو تأخر العشاء أكثر من هذا فلسوف يتحول الأمر إلى انتظار الإفطار ..

راح فى نوم قلق ، لم يصح منه إلا حين سمع المفتاح يدور فى الباب .. لم يكن من هؤلاء البارعين الذين يصحون من النوم بكامل حواسهم ،

لكنه أدرك على الفور أن هذا قد يكون إفطارًا مبكرًا .. وفى الضوء الخافت فوجئ بأن القادم لم يكن (كونراد) العزيز بل هى فتاة .. فتاة تحمل صينية ومن الواضح أنها أجمل فتاة رآها فى حياته .. فجأة خطرت له فكرة مجنونة :

ـ « هل أنت (جين فين) ؟ »

هزت الفتاة رأسها وقالت بإنجليزية مهشمة :

ـ « اسمى (أنيت) يا مسيو »

قال لها :

ـ « لا تقولى إنك ابنة أخت أو ابنة (كونراد) .. فهذا مستحيل »

ـ « أنا مجرد خادمة فرنسية يا مسيو .. »

فكر فى أنها قد تكون أمله الأخير .. لن يخسر شيئًا لأن موقفه ميئوس منه على كل حال ..

ـ « اصغى لى .. أنا أريد منك أن تساعدينى للفرار من هنا .. »

هزت الفتاة رأسها :

- « مستحيل .. هناك ثلاثة منهم فى الطابق السفلى .. ثم إننى لن أساعدك يا سيدى »

- « ولماذا ؟ »

- « لأن هؤلاء الناس قومى أما أنت فمجرد متسلل .. »

وغادرت المكان .. هكذا وجد (تومى) أن عليه أن ينتظر ثلاثة أيام كاملة بلا عمل فى هذا المكان .. لا يرى إلا (كونراد) والفتاة لا تتكلم إلا بعبارات من مقطع واحد ، وفهم من (كونراد) أنهم بانتظار مستر (براون) ليبتوا فى أمره .. يبدو أن الرجل مسافر أو شىء من هذا القبيل ..

وفى اليوم الرابع حدث شىء مخيف .. اقتحم الغرفة عليه (كونراد) ومعه رجل آخر .. وقيداه بالحبال حتى تحول إلى حزمة لا نفع منها .. وقال (كونراد) متشفيًا :

- « تتذاكى علينا .. هه ؟ تتظاهر بالعلم وأنت أجهل من قطة صغيرة .. هه ؟ تخدعنا .. هه ؟ لكن الآن

قد اتضح الأمر وعرفنا مدى علمك ، وقد انتهى أمرك .. أنت الآن مجرد خنزير ميت ! »

لم يدر (تومى) ما استجد ، لكنه أدرك أن مستر (براون) الجبار قد اخترق أعماقه وحدس سره .. لابد أن اختفاءه قد جعل (توبينس) تتوجه للشرطة ، ومن هناك تسرب الخبر ، ولم تجد العصابة عسرًا فى استنتاج من هو وماذا يعرف .. وعرف أنهم سيقتلونه فى الصباح بعدما ينقلونه بعيدًا عن هنا ..

خرج الرجلان .. وبعد دقيقة عادت الفتاة إلى الغرفة فأطفأت النور الكهربى ..

هنا جاء صوت (كونراد) الغاضب من الخارج :

- « تبًا لك يا (أنيت) ! لماذا فعلت هذا ؟ »

- « لا لسبب مسيو .. سأضيئه حالاً .. جئت لاسترداد الصينية .. »

ودنت من (تومى) المقيد فى الظلام فمررت يدها على جسده ، وشعر بشىء معدنى بارد يستقر بين يديه المقيدتين ، ثم خرجت الفتاة فى الحال بعد ما أطفأت النور من جديد ..

اصطرعت الخواطر فى ذهن (تومى) .. معنى إطفاء النور أن الغرفة مراقبة من مكان ما .. لابد أن هناك فتحة يتلصص منها أحدهم ، ولهذا كانت الفتاة مقتضبة فى محادثاتها معه .. الآن أطفأت النور لتتمكن من أن تدس فى يده سكينًا .. فهل يتمكن من قطع الحبال بالسكين وهو مقيد ؟

جرب كثيرًا فى الظلام ، وأدمى معصمه بعنف .. لكنه بدأ يشعر بالحبل يرتخى حول معصميه أخيرًا .. أما وقد تحرر معصماه صار الباقى سهلاً .. ووقف فى الظلام يفكر فى الخطوة التالية .. لامخرج من الحجرة إلا الباب ، والباب مفتاحه مع (كونراد) فما العمل ؟

أخيرًا وجد لوحة ثقيلة على الجدار تمثل مشهدًا من مسرحية (فاوست) ، فقرر أن يضرب القادم صباحًا بها .. وهى خطة تبناها فى بداية إقامته هنا قبل أن يعرف أن (أنيت) هى التى تقدم الطعام ..

فى الصباح انفتح الباب ودخل (كونراد) أولاً .. ثم جاء الرجل الآخر .. استجمع (تومى) قوته ووثب

على الرجل ، ثم هوى باللوحة الثقيلة على رأسه فتناثر الزجاج المهشم فى كل مكان .. ثم وثب خارجًا من الغرفة وأغلق الباب وراءه بالمفتاح ، الذى تركه (كونراد) فى الباب ..

شعر بيد صغيرة تلمس يده ، والفتاة تهمس :

ـ « ششش ! من هنا ! »

كانت تشير إلى سلم صغير يبدو أنه يقود إلى الكرار .. أسرع معها إلى تسلق هذا السلم ، فوجد نفسه فى صندرة مملوءة بالخشب المقطوع .. قال لها :

ـ « هذا لايصلح .. إنها مصيدة محترمة جدًا بلا منافذ .. »

ـ « شش ! »

وكان صوت الضرب والركل على باب الغرفة عنيفًا جدًا ، وبدا أن الألمانى ورجلاً آخر يحاولان الدخول .. قالت (أنيت) :

- « يحسبانك مازلت بالداخل .. لايمكنهما سماع كلام (كونراد) فالباب سميك .. »

وأمرته بأن يتسلق سلمًا يؤدى إلى الكرار ، بحيث يتعلق به حتى يختفى الرجلان .. فى النهاية انفتح الباب وخرج (كونراد) كالثور الهائج يصيح :

- « هل قبضتما عليه ؟ »

- « تعنى أنه هرب ؟ مستحيل .. كان يجب أن نراه ! »

وهرع الرجال الثلاثة يركضون إلى الطابق العلوى بحثًا عن (تومى) ، ولحقت الفتاة بهم ، أما (تومى) فوجد الوقت كى يهرب من هذا المنزل المخيف .. وأدرك أن الفتاة بقيت بإرادتها فلا سبيل لإنقاذها أو إقناعها بالرحيل معه ..

كان الشارع خاليًا ، لذا راح يركض قدر استطاعته مبتعدًا .. دوى صوت طلقات رصاص من ورائه ، لكن

أية رصاصة لم تصبه لحسن حظه .. وقال لنفسه : لن يستمروا فى الإطلاق ، فلن يلبث وقت طويل حتى يصل رجال الشرطة .. أخيرًا استطاع أن يضللهم فى المنحنيات ، وتنهد الصعداء واستجمع أنفاسه حين وجد نفسه بعيدًا عن حى (سوهو) كله ..

كان منظره مريبًا للشرطة بلحيته الطويلة وثيابه المبعثرة ، لذا عرج على أحد الحمامات العمومية حيث استحم وحلق ذقنه .. ثم اتجه إلى مقر المستر (كارتر) الذى قابله بفتور شديد :

- « حسبت أننى أوضحت أنه من غير المستحب أن تتصل بى .. »

فحكى له (تومى) القصة كلها ، وبالفعل ظفر باهتمام الرجل .. الأهم هو أنه وجد جريدة على مكتب الرجل تتكلم عن المؤامرة البلشفية على البلاد ، وكانت بها عدة صور مألوفة .. صور تذكر أنها كانت بين وجوه الرجال المجتمعين على المائدة فى ذلك اليوم .. لقد عرف من يدعى (كرامنين) ..

وهو من قادة الثورة البلشفية الذين تسللوا إلى إنجلترا لينقلوا إليها الشيوعية ..

طلب منه مستر (كارتر) أن يتفحص المزيد من الصور علّه يعرف أسماء أخرى .. وبالفعل عرف (تومى) من يدعى (وستواى) .. قال (كارتر) :

- « حسن يا بنى .. لقد أفدتنا كثيرًا .. تقول إن الإضراب سيكون يوم ٢٩ ؟ هذا يعطينا وقتًا قليلاً جدًا فى الواقع .. طبعًا لن نجد أحدًا منهم فى البيت الآن بعد هروبك ، وهذا لن يدهشنى .. الآن أنصحك بأن تعود إلى مس (توبينس) لأنها تموت قلقًا عليك .. »

- « (توبينس) ؟ ألم تتصل بالشرطة ؟ »

هز الرجل رأسه نفيًا ، فتساءل (تومى) فى حيرة :

- « إذن كيف عرف هؤلاء القوم أننى كنت أخدعهم ؟ »

- « لانستطيع التخمين .. يمكنك العودة إلى الفندق .. لكن تذكر أنك رجل مطلوب الآن ، وبالتأكيد هناك رغبة ملحة لقتلك .. »

انصرف (تومى) وهو يرتقب بشوق لحظة لقاء (توبينس) .. لكنه حين وصل إلى فندق (ريتز) لم يجدها ، وقيل له إنها انصرفت منذ ربع ساعة ..

* * *

الفصل السادس عشر

البرقية

عرف (تومى) أن (توبينس) قد انطلقت فى سيارة أجرة إلى محطة (تشارينج كروس) بعدما تلقت برقية .. هنا جاء (جوليوس هيرشايمر) ورحب به .. ودون مقدمات قال له إنه عرض الزواج على (توبينس) وإنها فى الغالب وافقت ، وإنه تأكد أولا أنه ما من علاقة بينها وبين (تومى) ..

لدهشته شعر (تومى) بضيق حقيقى .. ولكن لماذا؟ الفتاة كانت صريحة مع نفسها دومًا ولم تنكر أنها تنتظر مليونيرًا لتتزوجه .. وكان (جوليوس) أول مليونير تقابله .. إنها لم تخف شيئًا ! لكنه الآن يتمنى لو لا يراها ثانية أبدًا .. الحق أنه لعالم متعفن !

قال (جوليوس) :

ـ « سنتفق بالتأكيد .. أنا أعرف أن الفتاة لابد أن ترفضك مرة على سبيل التقاليد .. »

أمسك (تومى) بذراعه وقال فى لهفة :

ـ « ترفض ؟ تقول ترفض ؟ »

ـ « نعم .. ألم أقل لك هذا ؟ لقد قالت : لا دون تفكير ولا مبرر .. هذا هو سلوك الأنثى الأبدى .. لكنها ستوافق بعد عرض آخر بالتأكيد .. »

لقد ظلم (تومى) الفتاة .. واضح أنها رفضت (جوليوس) دون تردد ولا تفكير .. وهى مازالت كما عرفها دومًا ..

استجوب الرجلان الصبى الذى جلب البرقية إلى (توبينس) فقال إن الفتاة قرأتها ثم كورتها وألقتها فى القمامة .. وهكذا هرع الرجلان إلى حجرتها بحثًا عن هذه الكرة .. أخيرًا وجدا الورقة المجعدة وفتحاها فكان المكتوب :

« تعالى حالاً .. (موت هاوس) .. إيبورى .. يورشاير .. »

(تومى)

قال (جوليوس) :

ـ « يا للمصيبة ! لقد ظفروا بها .. وقعوا البرقية باسمك ، والفتاة سقطت كالحمل فى المصيدة » .

كان حماس (جوليوس) معديًا ، فلو ترك (تومى) لنفسه لجلس يفكر نحو نصف ساعة ويقرر ما يفعله ، لكن مع (جوليوس) كانت الحركة فورية ..

قال (تومى) لصاحبه بعد تفكير عميق :

ـ « لا أعتقد أنها فى خطر عاجل .. إنهم لا يريدون منها إلا لعب دور الرهينة .. فى حالة ما إذا وصلنا نحن إلى شىء مهم ستكون هى السوط فى يدهم .. لهذا سيحافظون على سلامتها .. »

كانت الرحلة بالسيارة مرهقة ، وفى النهاية وصلا إلى (إبيورى) التى كانت محطة مهجورة بها حمال وحيد .. سأله (تومى) عن (موت هاوس) فقال إنه بيت كبيرجوار البحر . لكن الرجل لم يستطيع تذكر أنه رأى أية فتاة تشبه صفات (توبينس) وصلت بالقطار .. لكنه متأكد أنه ما من

أحد سأله عن (موت هاوس) اليوم .. أثار هذا إحباط (تومى) لأن العدو كان يسبقهما الآن بثلاث ساعات . وهى كافية جدًا للمستر (براون) .. ووصلاً أخيرًا إلى (موت هاوس) فكان أول ما رأياه هو بوابة حديدية صدئة ، وطريق نبتت فيه الأعشاب .. ثمة شىء فى المكان كان يثير الرجفة فى القلوب ..

دخلا المكان فمشيا وسط الممر المغطى بالعشب ، فلا تسمع صوت خطواتهما .. كأنما يمشيان فى عالم أشباح .. ومن حين لآخر تسقط ورقة شجر باردة على خد أحدهما فيرتجف ..

كانت حالة البيت أسوأ ومصاريع النوافذ مغلقة ، وقرع (جوليوس) الباب بالمطرقة فلم يتلق إجابة .. أحقًا يمكن أن تكون (توبينس) جاءت هنا ؟ أخيرًا اقترح (تومى) البحث فى القرية لمعرفة أى شىء عن هذا البيت .. وفى القرية دلهما الفلاحون على امرأة عجوز تملك المفتاح .. قالت إن المنزل مغلق منذ سنين ، وإنهما

يستطيعان دخوله غدًا ليرياه فى ضوء النهار .. وهكذا اضطر الرجلان إلى المبيت فى القرية ..

وفى الصباح دخلا البيت .. كان من الواضح من الغبار على الأرضية أن أحدًا لم يخط داخل المنزل منذ أعوام ..

كادا يتركان القرية لولا أن لمح (تومى) شيئًا بين الأغصان على جانبى الممشى ، وبالتدقيق اكتشف أن هذا هو بروش خاص بـ (توبينس) .

ـ « معنى هذا أنها قد جاءت هنا .. سنقيم فى الحانة ونقلب القرية حتى نجدها .. لابد أن أحدًا رآها .. »

ومضت الأيام فى استجوابات ، لكن أحدًا لم ير الفتاة ، كما أن أحدًا لم ير سيارة غريبة .. وتتبع (جوليوس) كل السيارات التى ظهرت فى القرية فى ذلك اليوم فلم يحصل على شىء .. كأن الفتاة ببساطة اختفت من الوجود ..

أخيرًا قال (تومى) لصديقه وهما على مائدة الإفطار :

ـ « هل تعرف كم قضينا هنا ؟ أسبوعًا .. وقريبًا يأتى التاسع والعشرون من الشهر ! بعد هذا اليوم لن تساوى حياة (توبينس) شيئًا .. ستنتهى لعبة الرهينة تمامًا .. لقد أضعنا وقتًا ثمينًا ولم نحرز تقدمًا .. »

ـ « أنت على حق .. والآن أرى أننا أحمقان بالغنا فى مهارتنا .. إن ما أحتاج إليه الآن هو زيارة سكوتلانديارد لأضع نفسى تحت تصرفهم .. كم نحن حمقى ! إن المحترفين هم من يفوزون دائمًا فى النهاية .. وهذه ليست لعبة هواة .. »

وهكذا عاد (جوليوس) إلى لندن .. وفى المساء وصلت برقية منه إلى (تومى) يدعوه إلى الحضور حالاً .. ركب (تومى) أول قطار عائد إلى هنا .. وكانت بانتظاره فى البريد برقية أخرى تقول :

« وجدنا (جين فين) . تعال إلى فندق مانشستر ميدلاند حالاً . »

(بيل إوجرتون)

طوى (جوليوس) الورقة وقال :

ـ « غريب هذا .. كنت أحسب المحامى قد تخلى عن الموضوع ! »

★ ★ ★

الفصل السابع عشر

(جين فين)

التقى الرجلان مع السير (جيمس إدجرتون) ، وكان انطباع (تومى) عنه شبيهًا بانطباع (توبينس) .. هذا الرجل يملك مغناطيسية لا شك فيها .. وأدرك أن الرجل درسه وسبر أعماقه على الفور ، لكنه لم يعرف حكمه النهائى لأن السير (إدجرتون) لم يكن من النوع الذى يبدى استنتاجاته أبدًا ..

قال (جوليوس) فى لهفة :

ـ « (جين فين) ! وجدناها أخيرًا .. هل يمكننى أن ألقاها ؟ »

قال السير (جيمس) :

ـ « للأسف لا .. لأن الشابة أصيبت فى حادث

سير ورأسها مصاب .. وفى المستشفى بدأت تفيق وقالت إن اسمها (جين فين) .. حين سمعت هذا طلبت نقلها إلى بيت صديق طبيب لى ، وأبرقت لك .. لقد غابت عن الوعى ثانية ولم تتكلم من حينها .. إنها لم تجرح بشدة بما يفسر هذه الحالة ، ومن الجلى أن سبب فقدان الوعى هو الصدمة العاطفية »

صاح (جوليوس) فى لهفة :

ـ « بعد العشاء سأذهب لأراها .. »

قال السير (جيمس) بلهجة قاطعة :

ـ « أخشى أن هذا سيكون عسيرًا .. لن يسمحوا لها الليلة بلقاء أحد .. ربما غدًا صباحًا فى العاشرة .. »

احمر وجه (جوليوس) .. فمن البداية لم يكن يرتاح إلى السير (جيمس) ، ويبدو أن هذا بسبب صدام الشخصيتين المسيطرتين .. ارتجفت يده الممسكة بقدح الشاى وتبادل نظرة مع الرجل ، ثم قال فى استسلام :

ـ « حسن .. أقر بأنك الرئيس هنا .. »

وراح سير (جيمس) يستقصى من (تومى) أخبار مغامرته الأخيرة .. وأبدى استحسانه لبراعة (تومى) وسرعة بديهته ..

وفى العاشرة صباحًا اتجه الرجلان إلى المكان المرتقب ، وكان سير (جيمس) ينتظرهما .. كانت ثقة (تومى) تزداد يومًا بعد يوم بسير (جيمس) وقدر أن هذا الرجل البارع سيعيد (توبينس) سالمة .. ها هى ذى (جين فين) أخيرًا ! الشخصية الغامضة التى يبحث عنها مع (توبينس) من البداية ، ولكم تمنى لو كانت (توبينس) هنا لتحضر انفعالات اللحظة .. لكنه لم يصدق أن تمر الأمور بهذه السهولة ، وحسب أنهم سيجدون الفتاة وقد اختفت أو ماتت .. قال لهم الطبيب صاحب الدار :

ـ « للأسف هى لا تذكر شيئًا عن الفترة السابقة كلها .. ما زالت تحسب أن (لوزيتانيا) تغرق الآن .. وهى لا تذكر حرفًا عما حدث بعد الغرق .. »

وأدخلهم إلى غرفة رقدت فيها فتاة التف وجهها بالضمادات ، وقال لها :

ـ « هنا من يدعى (جوليوس هيرشايمر) .. ابن عمك .. »

همست الفتاة فى ضعف وبلكنة أمريكية واضحة :

ـ « هل أنت حقًا ابن العم (حيرام) ؟ »

بدا الصوت مألوفًا لـ (تومى) لكنه لم يستطع تذكر أين سمعه من قبل .. قال (جوليوس) بصوت مرتجف :

ـ « عرفت من البداية أنه لايجب أن يتباعد أفراد الأسرة ، وصممت على أن أجىء لك بمجرد انتهاء الحرب .. »

بعد صمت سألها (جوليوس) فى حذر :

ـ « هناك رجل كان يحمل أوراقًا مهمة لحظة غرق (لوزيتانيا) .. والسلطات هنا تؤكد أنه أعطاك هذه

الأوراق قبل غرق السفينة .. فهل تذكرين شيئًا من هذا ؟ »

بدا الارتباك على الفتاة فقال لها متفهمًا :

ـ « مستر (برسفورد) مكلف من الحكومة بإيجاد هذه الأوراق .. وسير (إدجرتون) عضو بالبرلمان وقد ساعدنا فى العثور عليك فتكلمى ولاتخافى شيئًا .. »

ـ « نعم أخذتها منه فى أثناء غرق السفينة .. لكنها ليست معى الآن .. لقد كنت خائفة حين وصلت إلى البر .. كنت أخشى أن يكون هناك من يتبعنى ، وهكذا استقللت سيارة أجرة إلى (هولى هيدز) ، وهناك اتجهت إلى البحر حيث ساحل (تريدار) .. وجدت صخرة تبدو ككلب يقعى متسولاً .. كانت هناك فجوة فى هذه الصخرة ، لذا دسست الكيس الحاوى للأوراق فيها ، ثم غطيت الفتحة بالأشواك والأوراق .. بعد هذا لم يعد من الممكن تمييز الفتحة .. واستقللت سيارة أجرة عائدة إلى

(لندن) .. آخر ما أذكره أن امرأة معينة كانت تنظر لى فى ثبات ، ثم شعرت بضربة قوية على رأسى بعدها لم أعد أذكر شيئًا .. »

قال سير (جيمس) إن هذا كاف وعليهم الانصراف الآن .. نهض (جوليوس) ووعد ابنة عمه بأيام جميلة تنسيها ماكان من أحداث قاسية ..

* * *

الفصل الثامن عشر

بعد فوات الأوان

ما إن خرج الرجال من المنزل ، حتى أصر (جوليوس) على السفر فورًا إلى (هولى هيدز) للبحث عن الأوراق .. لم يجد السير (جيمس) مايدعو لهذا الاستعجال خاصة أن اليوم ٢٤ لا أكثر .. لكن (جوليوس) كان كدأبه شديد الحماس .. نصحه سير (جيمس) بأن يتعقل لأن الدرس الأول الذى يجب أن يعيه هو مدى خطورة أعدائه .. تمنى لهما التوفيق لأنه لن يصحبهما ، وطلب منهما إذا ظهر خطر أن يتخلصا من الأوراق حالاً ..

بلا إبطاء وصل الرجلان إلى (هولى هيدز) .. واستقلا سيارة أجرة إلى ساحل (تريدور) .. بحثًا فى الشاطئ حتى وجدا ما بدا بوضوح كصخرة على شكل كلب جالس .. لم يفارق (تومى) الشعور

بأنهما مراقبان بشكل ما ، لكن (جوليوس) طمأنه بأنه يحمل مسدسه فى جيبه .. ذلك المسدس الذى يعتز به كثيرًا ويطلق عليه اسم (ويليام) الصغير ، وشعر (تومى) بأن هذا يبعد عن ذهنه خطر مستر (براون) قليلاً ..

راحا يبحثان عن فتحة فى الصخرة .. وكانا يعلمان أنه من المستحيل أن تظل الأشواك تسدها حتى اليوم بعد كل هذه الأعوام .. كان (تومى) يؤمن أنهما لن يجدا شيئًا .. من العسير أن ينجحا بهذه البساطة بعدما فشل الجميع .. لابد أن تكون الفتحة خالية من الأوراق ..

وجدا الفتحة فمد (جوليوس) يده فيها وراح يعبث :

ـ « ها هى ذى .. لحظة .. إنها ضيقة .. لابد أن يد (جين) أصغر من يدى بكثير .. لا أشعر بشىء .. ولكن .. هذه هى اللفافة المغلقة بالمشمع .. امسكها حتى أخرج مطواتى .. »



وجدا الفتحة فمد (جوليوس) يده فيها وراح يعبث :
ـ «ها هى ذى .. لحظة .. إنها ضيقة .. لابد أن يد (جين) أصغر من يدى بكثير ..

بيد مرتجفة شقا الغلاف .. كانت بالداخل لفافة من ورق .. فردها (تومى) وتأملها .. كانت خالية من الكتابة ! هل كان (دانفرز) يعبث ؟ فكر (تومى) قليلاً ثم صاح :

ـ « وجدتها ! حبر سرى ! »

ـ « هل تظن هذا ؟ »

ـ « الحرارة تؤدى الغرض غالبًا .. فلنشعل نارًا » .

أشعلا نارًا وقربا الورقة منها .. لكن الورقة تجعدت فقط ولم يحدث أكثر من هذا .. فجأة بدأت كلمات بنية باهتة تظهر .. فانفعل (تومى) وقرب الورقة أكثر ليقرأ ما بها :

« مع تحيات مستر براون ! »

وقف الرجلان صامتين يتبادلان النظرات .. قال (جوليوس) فى حنق :

ـ « كيف استطاع أن يسبقنا ؟ لم يكن أحد يعرف هذا المكان قبل صباح اليوم .. وما كان بوسع أحد أن يصل هنا أسرع منا حتى لو كانت غرفة (جين) مراقبة بأجهزة تنصت .. إن كل شىء حدث صباح اليوم ، والأوراق كتبت اليوم بالذات .. »

ـ « ربما لم تكن الفتاة هى ابنة عمك إذن .. »

ـ « هذا جائز .. إننى أعرف ملامحها من الصورة .. وملامحها يمكن أن تكون هى لكنها كذلك تختلف نوعًا .. »

عاد (تومى) إلى (لندن) ليبلغ الخبر السيئ لرئيسه مستر (كارتر) .. قال له إن الأوراق الآن بالتأكيد فى يد مستر (براون) .. صدم الرجل لكنه قال للفتى :

ـ « لا تبتئس يا بنى .. لقد كنت تتعامل مع أكبر عقل إجرامى عرفه القرن ، ودنوت جدًا من النجاح .. لكن هذه ليست آخر الأخبار السيئة .. »

ثم فى توجس قدم للفتى قصاصة من الجريدة ، تتكلم عن العثور على قبعة خضراء عليها الحروف الأولى من اسم (توبينس) .. وقد قذف بها المد جوار الساحل عند (إبيورى) ..

كان هذا أكثر مما يتحمل (تومى) .. نهض واتجه إلى الفندق .. (توبينس) بالذات المفعمة بالحيوية والمرح ! لقد فقد كل شىء إذن ..

لم يبق أمامه سوى البحث عن مستر (براون) وتمزيقه إربًا .. وهنا اقتحم (جوليوس) الغرفة عليه حاملاً الجريدة ، وصاح :

- « هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا .. »

بكل المرارة قال (تومى) :

- « بل هو صحيح غالبًا .. أما وقد حصل (براون) على الأوراق لم تعد حياة (توبينس) ذات قيمة .. »

ثم صاح فى (جوليوس) :

- « الآن اخرج من غرفتى .. لا أريدك هنا أبدًا ..

أنت عرضت عليها الزواج وأنت لا تحبها ، بينما أنا تربيت معها وأحببتها بجنون يومًا بعد يوم .. لم أكن أملك المال الذى يسمح لى بمنحها ما أريد من رغد .. وجئت أنت لتقدم عرضك المسموم .. الآن لا أريد إلا أن تغرب عن وجهى وتعود لابنة عمك العزيزة .. »

أوشك الرجلان على تبادل اللكمات ، وبصعوبة تمالكا نفسيهما .. فى النهاية انصرف (جوليوس) حانقًا ..

اتصل (تومى) بخدمة الغرف ، وطلب أن يأخذوا حقائبه من الغرفة ، فسأله الحمال :

- « إلى أين يا سيدى ؟ »

- « إلى الجحيم .. »

قال الحمال فى أدب :

- « حسن يا سيدى .. سنأتى حالاً ! »

بحث عن ورق للكتابة فلم يجد ، وقرر أن يذهب إلى جناح (جوليوس) ليجد ورقًا هناك .. كان متأكدًا من أن (جوليوس) ليس بالجناح ، مما

يوفر عليه عناء مواجهة ثانية .. فتح الدرج ليبحث فيه ، هنا وجد صورة فوتوغرافية لفتاة .. نظر فيها مرتين ثم تساءل :

ـ « لماذا يضع (جوليوس) صورة الفتاة الفرنسية (أنيت) فى درجه ؟ »

★ ★ ★

الفصل التاسع عشر

جوليوس يساعد

فى جناحه فى فندق (كلاريدج) جلس (كرامينين) على أريكة يملى بالروسية على سكرتيره . دق الهاتف فأصغى السكرتير ثم استدار إلى مخدومه :

ـ « هناك من يدعى (جوليوس هيرشايمر) يطلب مقابلتك .. »

فكر (كرامينين) قليلاً محاولاً تذكر الاسم ، فقال السكرتير الذى كان عمله أن يعرف كل شىء :

ـ « أبوه كان من ملوك الصلب فى أمريكا .. لابد أن الرجل مليونير عدة مرات .. »

فكر الرجل قليلاً ثم أمر السكرتير بإحضار القادم .. عاد السكرتير مع (جوليوس) الذى قال له بحدة :

ـ « يسرنى لقاؤك يا سيدى .. لكن الموضوع شخصى .. فهل لنا أن نتكلم على انفراد ؟ »

أمر الروسى سكرتيره بالانسحاب إلى غرفة جانبية ، لكن الأمريكى قال بحدة :

ـ « الغرفة الجانبية لا تصلح .. أنا أعرف هذه الأجنحة لذا أريدك أن ترسله إلى المتجر ليبتاع بعض الفول السودانى .. »

بدا الفضول على الروسى وإن لم يتذوق الدعابة ، لذا أمر السكرتير بالذهاب إلى السينما ، لأنه ليس بحاجة إليه هذه الليلة ، ثم بعد انصرافه استدار إلى (جوليوس) طالبًا منه أن يدخل فى الموضوع .. فقال هذا :

ـ « ليس أبسط من هذا .. والآن ارفع يديك أو أطلق الرصاص عليك ! »

للحظة نظر (كرامنين) فى غباء إلى المسدس الضخم ، ثم رفع يديه فوق رأسه . وصاح فى هستيريا :

ـ « هذه فضيحة ! هل تريد قتلى ؟ إننى شخصية عظيمة الأهمية فى وطنى .. ولو أنك .... »

ـ « أعرف أن الرجل الذى سيسمح لضوء النهار بدخول جسدك إنما يسدى خدمة عظيمة للبشرية ، لكنى لا أنوى عمل هذا إن ظللت عاقلاً .. »

ـ « ماذا تريد ؟ »

ـ « أريد (جين فين) »

ـ « لم أسمع عنها قط .. »

ـ « أنت كاذب قذر ! أنت خائف من مستر (براون) .. لكن دعنى أؤكد لك أن هذا المسدس خطر عاجل أكيد ، ولو كنت مكانك لتجنبته وخاطرت بحظى مع مستر (براون) »

ـ « لو قتلتنى ستشنق »

ـ « أنت تنسى ثروتى يا عزيزى .. سيدافع عنى حشد من المحامين ، وسيثبتون أن قواى العقلية مختلة ، وعندها سأقضى بضعة أشهر فى مصحة ثم أعود للعالم مسرورًا لكونى خلصت العالم منك .. »

صدقه الرجل .. أدرك (جوليوس) أنه من النوع الجبان ، وهذا بالتأكيد سيجعل الأمور أيسر .. وتكلم الروسى فى تردد :

ـ « إنها فى (جيتهاوس) .. (أستلى برايورز) .. »

ـ « ومعها فتاة أخرى تدعى (توبينس) ؟ »

ـ « كلاهما هناك .. »

ـ « جميل .. هذه ليلة مناسبة للانطلاق .. سنذهب الآن لنحضرهما »

صاح الثانى فى هلع :

ـ « أنا لن أذهب معك ! »

ـ « وهل تحسبنى طفلاً كى أتركك هنا لتتصل برفاقك بمجرد خروجى ؟ سترتدى ثيابك حالاً ونغادر المكان إلى سيارتى .. وإلا صار هناك نحت جميل لوجهك بالكبريت والرماد .. »

وهكذا خرج الرجلان إلى السيارة حيث كان سائق (جوليوس) ينتظرهما .. كان السائق بحارًا إنجليزيًا قديمًا لايطيق الروس ، وانطلق الجميع إلى (جيتهاوس) . طلب (جوليوس) من السائق أن يبقى المحرك متأهبًا للانطلاق ، وتحت تهديد المسدس المختبئ تحت سترة (جوليوس) هبط الروسى من

السيارة ، وقرع الباب المقصود ، وطلب من الخادم أن يحضر الفتاة حالاً لأنه لا وقت يضيع ..

هبط رجل من أعلى الدرج ، وكان هو (وتتجتون) نفسه ، فما إن رأى الروسى حتى صاح :

ـ « ماذا ؟ أنت تعرف الخطة بالتأكيد .. »

هنا قاطعه (كرامينين) فى ذعر :

ـ « الخطة تغيرت .. لقد خاننا أحد ! هات الفتاتين حالاً ولنفر بجلدنا ! »

نظر له (وتتجتون) فى عدم فهم ، ثم سأله :

ـ « هل لديك تعليمات (منه) ؟ »

ـ « طبعًا .. وإلا كيف آتى هنا ؟ »

وهكذا خرجت الفتاتان وقد ارتدت كل منهما عباءة على كتفيها ، واتجهتا نحو السيارة .. فى هذه اللحظة بالذات سقط شعاع ضوء على وجه (جوليوس) ورأى رجلاً على الباب ينظر له .. أدرك أن أمره انكشف فصاح فى السائق أن ينطلق ..

وثبت الفتاتان والروسى فى السيارة فى اللحظة التى التمع فيها ضوء خاطف من سلاح نارى ، ثم دوى صوت طلقة كادت تجرح أطول الفتاتين .. أخرج (جوليوس) مسدسه وأطلق بالمثل بعض عيارات ، بينما السيارة تنطلق مبتعدة بأقصى سرعة .. صاح فى السائق :

- « يحتاجون إلى خمس دقائق ليلحقوا بنا .. لابد أنهم سيتصلون هاتفيًا أولاً .. عليك بالطرق الجانبية غير المطروقة إذن .. هل أنت بخير يا (توبينس) ؟ »

قالت (توبينس) :

- « بخير .. لم تصبنى الرصاصة .. لكن كيف استطعت أن تقنعهم بإطلاق سراحنا ؟ »

أشار إلى الروسى وقال :

- « بفضل (ويليام) ومعونة صغيرة من صديقى المستر (كرامينين) ! »

صاح الروسى :

- « كف عن هذا ! لقد انتهى أمرى وخنتهم .. أريد أن أنزل هنا حالاً ! »

- « كنا نأمل أن نوصلك إلى لندن معنا »

- « لندن ؟ أنتم لن تبلغوا لندن أبدًا ! أنزلونى هنا ! »

وقبل أن يتوقف السائق فتح الروسى الباب واختفى فى الظلام .. قال (جوليوس) ساخرًا :

- « متلهف جدًا على الرحيل حتى إنه لم يودعنا .. »

سألته (توبينس) :

- « أين (تومى) ؟ »

- « (تومى) ينوى الهجرة لأنه يحسبك قد هلكت .. »

- « كدت أدنو من ذلك .. وحين استدعونى أنا و(أنيت) ...... »

نظر إلى الفتاة الثانية وقال :

- « (أنيت) ؟ أهكذا تسمونها هنا ؟ »

وبدأ يحاول ترتيب الأحداث فى ذهنه .. ثم قال :

- « البائسة تحسب أن اسمها هكذا .. لأنها فقدت الذاكرة ، أما اسمها الحقيقى فهو (جين فين) ! »

فى اللحظة التالية برز إنسان من بين الأشجار .. وسرعان ما تبينوا أن هذا (تومى) ! أوقفوا السيارة وأركبوه معهم ، ولم يكن هنا وقت لتبادل العواطف أو الأسئلة لأن (تومى) قال بلهجة جدية :

- « توجد محطة قطار قريبة من هنا .. سننزل الفتاتين ! »

صاح (جوليوس) فى ذهول :

- « هل جننت ؟ تريد أن ننزل من السيارة ؟ »

- « بل هما .. أما أنا وأنت فسنظل فى السيارة .. إن فرصتيهما فى النجاة أفضل هكذا .. »

- « لكن .... »

لم يجد (جوليوس) الوقت للاعتراض ، لأن (تومى) انتزع المسدس من جيبه وصوبه إلى رأسه :

- « الآن ترى أننى لا أمزح .. فلتنزل الفتاتان حالاً ..

ولتتوجها إلى السير (جيمس إدجرتون) فى لندن فهو قادر على حمايتهما .. »

صدع (جوليوس) بالأمر وهو لا يفهم شيئاً .. فما إن ابتعدتا حتى صاح (تومى) فى (جوليوس) :

- « الآن يجب أن أفهم أمرك يا مستر (جوليوس هيرشايمر) ! »

* * *

الفصل العشرون

قصة جين

أخيرًا وبعد رحلة مليئة بالتوترات والفزع ، وصلت الفتاتان سالمتين إلى بيت السير (جيمس) .. رحب الرجل بـ (توبينس) بشدة وهو الذى كان يحسبها ميتة .. ثم نظر إلى الفتاة التى معها وتساءل :

- « أعتقد أنك غالبًا مس (جين فين) ؟ »

هزت رأسها أن نعم ، وقررت - برغم اعتراضه - أن تحكى قصتها فى الحال .. جلس على أحد المقاعد الشيزلونج الطويلة يصغى لها :

- « ركبت (لوزيتانيا) بحثًا عن عمل فى (باريس) .. كنت قد درست الفرنسية وقال معلمى إن بوسعى الالتحاق بمستشفى فى باريس .. وتبادلت مراسلات عدة حتى قبلونى .. ثم كان ما كان من غرق السفينة بعد ضربها بالطوربيد ، حين أعطانى مستر

(دانفرز) بعض الأوراق المهمة . وفى طريقى إلى (هولى هيدز) بالقارب تعرفت امرأةً تدعى مسز (فاندمير) ، كانت تعنى بى عناية خاصة .. لكنى لم أرتح لها كثيرًا ، ولاحظت أنها تتحدث مع رجال غير مريحى المنظر عنى .. تذكرت أنها رأت (دانفرز) وهو يعطينى الأوراق على ظهر (لوزيتانيا) .. خطر لى أنهم سيحاولون سرقة المغلف منى ، لذا فتحته ووضعت بداخله ورقة بيضاء .. بعد هذا فتحت إحدى المجلات ووضعت الوثيقة الحقيقية بين صفحتين من صفحاتها ، ثم ألصقت حواف الصفحتين بالصمغ ، ليبدو الأمر كأنها صفحة واحدة ، واحتفظت بالمجلة معى ..

« فى طريق العودة بالسيارة حاولت أن أبتعد عنها ، لكن كان هناك دائمًا زحام مريب من الناس يرغمنى على الركوب معها .. وفى الطريق تلقيت ضربة على رأسى فلم أدر أين أنا ..

أفقت من الغيبوبة لأجد مجموعة من الرجال حولى وبينهم تلك السيدة (فاندمير) ، وأدركت أنهم اختطفونى

إلى ما يشبه زنزانة السجن .. وفهمت من كلامهم أنهم حائرون بصدد الوثيقة .. هل أخفاها (دانفرز) وأعطانى وثيقة مزيفة لتضليلهم أم أننى أنا التى أضللهم .. وراحوا يتكلمون عن نيتهم لتعذيبى ..

« اتخذت قرارى بسرعة البرق .. رحت أنظر حولى فى ذهول وأتكلم بالفرنسية .. وأثار هذا دهشتهم . بدءوا يسألوننى بالفرنسية عما دهانى ، فأبديت ذهولاً بالغًا ، وقلت إننى لا أعرف أى شىء ولا أذكر شيئًا .. وهكذا استنتج القوم أن الضربة أثرت على عقلى ، وأننى لم أذكر التفاصيل ..

« خضعت لمحاولات عنيفة واستجوابات كثيرة .. كانوا يشكون فى أننى أخدعهم لكنى تماسكت .. وأخيرًا تركونى فى حجرة مظلمة ليس فيها إلا بعض لوحات على الجدار تمثل مشاهد من مسرحية (فاوست) .. »

هنا صاح (إدجرتون) :

ـ « نفس البيت فى (سوهو) الذى وصفه مستر (بيرسفورد) .. »

ـ « وخطر لى أنه يجب أن أضع الوثيقة فى مكان أمين ، لكنى كنت أشك فى أنهم يراقبون الحجرة ، لذا انتظرت حتى ساد الظلام وتحركت فيه بخفة .. انتزعت لوحة من على الجدار ، فمزقت ظهرها وانتزعت الصفحتين الملصقتين فى المجلة ، ودسستهما بمحتواهما النفيس خلف بطانة اللوحة .. هكذا لم يعد من الممكن أن يشك أحد فى كون الوثيقة معى فى نفس الغرفة ..

« بعد هذا اصطحبتنى السيدة (فاندمير) عبر كل الأماكن التى مررت بها من قبل .. كانت تأمل أن أسترد الذاكرة ، ثم أرسلونى إلى مصحة عقلية فى (بيرنماوث) عساى أسترد الذاكرة هناك .. صار التظاهر بالنسيان واللغة الفرنسية عادة ثانية عندى ، وتدريجيًا بدأت بالفعل أنسى أنا نفسى كل شىء عن ماضى .. وأصابنى هذا بفزع شديد .. وهكذا مرت أعوام طويلة علىّ فى جحيم متصل ..

« ذات ليلة اخذونى إلى لندن إلى ذات البيت فى (سوهو) ، وهناك قمت بالعناية بمستر (بيرسفورد) الذى كان سجينًا هناك .. »

- « والوثيقة ؟ هل ما زالت فى ظهر الصورة ؟ »

- « نعم .. »

نظر السير (جيمس) إلى ساعته ونهض قائلاً :

- « هلما .. يجب أن نهرع إلى هناك .. »

- « الآن ؟ »

- « ولم لا ؟ أخشى أن يسبقنا مستر (براون) كالعادة .. وكالعادة سيتخذ مظهر صديق .. »

نظرت له (توبينس) فى تردد ثم نظرت إلى (جين فين) .. وقالت :

- « أنت تعرف من هو مثلى .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. ومتأكد مما أقول .. حين ماتت مسز (فاندمير) لم يكن هناك فى الشقة سوى أنا وأنت ومستر (هيرشايمر) .. هو من أعد لها الشراب الذى شربته فلم تفق .. تذكرى نظرة مسز (فاندمير) المذعورة حين دخل شقتها .. ثم بعد هذا اتصل بى مستر (بيرسفورد) وقال لى إن صورة (جين فين)

لم تغادر قط درج المستر (هيرشايمر) .. لقد كان مستر (هيرشايمر) يكذب من البداية »

هنا صاحت (جين) :

- « ماذا تحاول إثباته ؟ أن (جوليوس) ابن عمى أنا هو المستر (براون) ؟ »

- « لا يامس (هيرشايمر) .. أعنى أن الرجل الذى يدعى نفسه (جوليوس هيرشايمر) لا يمت لك بصلة »

* * *

الفصل الحادى والعشرون

مستر براون

دوت كلمات السير (جيمس) كأنها قنبلة وتبادلت الفتاتان النظرات . نهض الرجل إلى المنضدة فالتقط جريدة وناول (توبينس) إياها .. كانت تتحدث عن جثة مشوهة مجهولة وجدت فى نيويورك .. وقال :

- « خطرت لى فكرة حين قرأت هذا الخبر .. من السهل أن نفترض أن مستر (براون) عرف أن (جوليوس) يبحث عن ابنة عمه ، من ثم أرسل من يقتله وهو ما زال فى (نيويورك) ويشوه وجهه .. ثم انتحل شخصيته وجاء إلى إنجلترا يبحث عن (جين فين) ، وهو وضع متميز يعطيه الفرصة فى معرفة اتجاه تفكير خصومه .. إن مس (توبينس) ترى الرأى ذاته .. »

نظرت (جين) إلى (توبينس) فوجدتها مرتبكة تقول :

- « الحق أننى شعرت بشكوك فيه .. لكنى لم أفهم قط : إذا كان هو مستر (براون) فلماذا جاء لينقذنا ؟ »

قال السير (جيمس) :

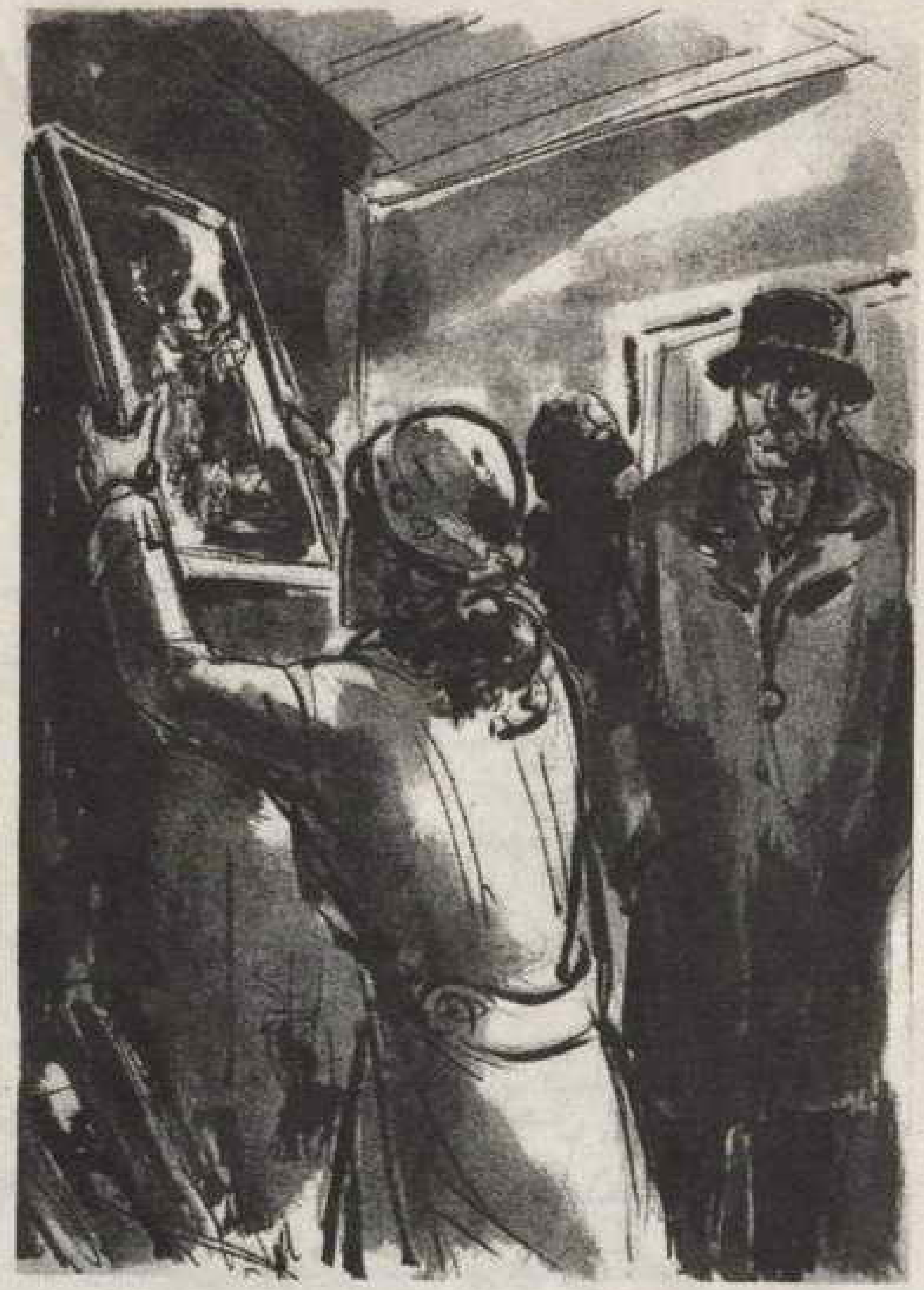
- « ألا تعرفين ؟ أنا أعرف .. كان لابد من إطلاق سراحك بشكل لا يثير شكوكك .. لابد من أن ينقذك (جوليوس) بطريقة ميلودرامية مسرحية .. الرصاص ينطلق لكنه لا يصيب أحدًا .. وبعد ما تطمئنين إليه ربما تذهبين معه للتأكد من مصير الوثيقة .. »

همست (توبينس) فى رقة :

- « و(تومى) ؟ »

- « لست متفائلاً جدًا .. إنه مسلح ، لكن الأمر يحتاج إلى ما هو أكثر من رجل واحد ومسدس للتعامل مع مستر (براون) ! سنذهب معًا إلى (سوهو) لكنى أقترح أن تظل مس (فين) هنا فهى مرهقة .. »

قالت (جين فين) :



اتجهت (جين فين) إلى اللوحة على الجدار فانتزعتها ..

ـ « بالعكس .. إن الأوراق أمانة لدى ويجب أن أكون معكما حين تبحثان عنها .. »

وانطلقت سيارة السير (جيمس) إلى (سوهو) .. وكان المنزل محاطًا برجال الشرطة ورجال الخدمة السرية . تحدث قليلاً مع أحد الضباط ثم أخذ منه مفتاحًا وقال لهما :

ـ « لم يدخل أحد البيت .. ولو حاول أى أحد أن يفعل سيعتقلونه حالاً »

دخل الثلاثة إلى البيت المظلم العطن .. لم تستطع (توبينس) أن تقاوم الشعور بأن هناك من يتلصص عليها .. الشعور بأن السلم يصدر صريرًا أكثر من اللازم .. وذلك الشعور الرهيب بأن مستر (براون) فى البيت معهم !

أخيرًا دخلوا إلى الحجرة التى سجنت فيها (جين فين) وبعدها (تومى) .. اتجهت (جين فين) إلى اللوحة على الجدار فانتزعتها ، وناولها سير (جيمس) مطواة فشقت ظهرها واستخرجت ورقتى المجلة الملتصقتين ..

مزقت الحواف وأخرجت الوثيقة .. الشىء الحقيقى هذه المرة بلا خداع !

صاحت (توبينس) :

ـ « إنها الوثيقة ! لقد نجحنا .. »

كرر سير (جيمس) كلماتها وأخرج حافظته ليدس فيها الورقة ، قال وهو يتأمل الغرفة :

ـ « يالها من غرفة كئيبة ! هنا إذن كان (تومى) حبيسًا .. حقًا كان من المستحيل أن يسمع أحد صراخه من الخارج .. »

ارتجفت (توبينس) إذ أحدثت كلماته رعبًا غامضًا فى نفسها .. نظر إليها وقال :

ـ « ألا تشعرين معى أن مستر (براون) فى المنزل ؟ »

ابتسمت فى عصبية .. الحق أنها كانت تشعر بهذا طيلة الوقت .. لكن من المستحيل أن يكون هذا صحيحًا لأن البيت محاط برجال الشرطة .. لكن السير (جيمس) أردف :

ـ « ألا تشعرين معى أن السير (جيمس) فى هذه الغرفة ؟ بلى .. لا أشك فى هذا .. إن المستر (براون) هنا ! »

وبلهجة باردة قال :

ـ « أنا هو المستر (براون) !! »

نظرت الفتاتان له غير مصدقتين ، فقال :

ـ « نعم .. وكلتاكما لن تترك البيت حية .. هل تريدان معرفة ما سيحدث ؟ ثلاث طلقات ثم يدخل رجال الشرطة ليجدوا ثلاث جثث .. جثتان وشخص جريح هو أنا .. لقد باغتنا المستر (براون) هنا .. سيصدق البوليس قصتى وأن المعاهدة مع مستر (براون) ولن يحاول أحد البحث فى جيبى .. »

ورفع المسدس وقال لـ (توبينس) :

ـ « كش ملك للمغامرين الصغار !! »

هنا هوت يد من الحديد لتمسك به من الخلف ، وأمسكت يد أخرى بالمسدس لتنزعه من يده ، ودوى صوت (جوليوس هيرشايمر) يقول :

- « الآن ضبطناك ويداك ملوثتان بالدم ! »

جرر يده من الممسكين به واستدار ليجد (تومى) واقفًا جوار (جوليوس) ، فرفع يده التى يثقلها الخاتم إلى شفتيه كأنما يأمرهما بالتزام الصمت ، وقال باللاتينية :

- « التحية لقيصر ! إن من سيموت يحييك ! »

وهوى على الأرض فى الحال ، بينما امتلأ المكان برائحة اللوز المر ..(*)

* * *

(*) أى أنه انتحر بمادة السيانيد ..

الفصل الثانى والعشرون

حفل كبير فى سافوى

كان الحفل الذى أقامه (جوليوس هيرشايمر) فى سافوى لأصدقائه حفلاً أسطوريًا سيذكره القوم طويلاً .. لقد أعطى للفندق حرية التصرف ، وحين يعطى مليونير لفندق حرية التصرف فإنه ينالها !

كان اليوم التاسع والعشرون - يوم العمال - قد مر كأى يوم آخر ، ولم تحدث إضرابات من التى تنبأت بها الصحف فى حماس .. فقط بضعة خطابات فى ميدان (ترافلجار) وبعض مظاهرات شيوعية .. وفى صحف الإثنين كان هناك خبر بسيط عن وفاة السير (جيمس إدجرتون) مستشار الملك . كما تنبأ (تومى) كان كل هذا استعراض رجل واحد ، وبمجرد وفاة الزعيم فر (كرامينين) إلى روسيا ، وتفرق باقى أفراد العصابة ..

اليوم يحتفل (جوليوس) مع أصدقائه بنهاية هذه المغامرة ..

قال لـ (تومى) :

ـ « ما زلت لا أفهم كيف خدعت أنت و(توبينس) وشككتما فى أمرى .. »

قال مستر (كارتر) الذى كان مازال حائرًا بعد أحداث حى (سوهو) :

ـ « لم تبدأ الفكرة عندهما ، لكنها دست لهما ببراعة كالسم .. كان موضوع القتيل فى (نيويورك) هو ما أوحى لـ (إدجرتون) بهذا كله .. وقد حرك الخيوط ببراعة لتحيط بك .. »

ـ « أنا لم أحبه قط .. كان هناك دومًا شىء ما لايريحنى فيه .. لكننى بدأت أشك حين قرر أفراد العصابة قتل (تومى) بمجرد أن قابلنا السير (جيمس إدجرتون) .. هذا هو التغيير الوحيد الذى حدث .. »

قال (تومى) بدوره :

ـ « أما أنا فكنت ـ بعد مصرع مسز (فاندمير) ـ أشك فى السير (جيمس) أو (جوليوس) .. ثم كان أن وجدت صورة (جين فين) فى الدرج .. الصورة التى زعم (جوليوس) أن مستر (براون) أخذها منه .. جعلنى هذا أشك فى (جوليوس) ، ثم تذكرت أن السير (جيمس) هو من وجد (جين فين) المزيفة .. قررت أن أختبر الرجل ، وأرسلت له الفتاتين حين كنا نحاول الهرب .. كنت أعرف أنه سيرحب بهما ثم يصحبهما إلى بيت (سوهو) .. وكان آخر شىء رأته الفتاتان هو منظرى وأنا أهدد (جوليوس) بالمسدس .. هذا انطباع كنت أود أن تنقلاه إلى السير (جيمس) ليعتقد أننى أشك فى (جوليوس) . بمجرد ابتعادهما حكيت كل شىء لـ (جوليوس) وانطلقنا بالسيارة كالمجانين إلى لندن .. حيث التقينا بمستر (كارتر) وأخذناه معنا إلى بيت (سوهو) ، وكان لدى البوليس تعليماته أن ينكر تمامًا دخول أحد البيت .. فى الداخل توارينا فى فجوة الجدار التى تواريت أنا فيها من قبل وانتظرنا .. »

هنا قال (جوليوس) :

ـ « بالمناسبة .. صورة (جين فين) هذه قد سرقت منى فعلاً لكنى وجدتها .. »

ـ « أين ؟ »

ـ « فى خزانة مسز (فاندمير) حين فتحتها .. »

مد المستر (كارتر) يده إلى جيبه فأخرج مفكرة بنية صغيرة وقال :

ـ « ما كنت لأصدق حرفًا حتى قرأت هذه المفكرة التى يحملها السير (جيمس) فى جيبه .. إنها ستئول إلى سكوتلانديارد ، لكننى أود أولاً لو قرأتم بعض الفقرات ..

« من الجنون أن أحتفظ بهذا الكتاب معى لكننى أعرف أنه لن يؤخذ إلا من جثتى ..

« منذ طفولتى كنت أعرف أن قدراتى العقلية خارقة .. فقط الأحمق هو من يسىء تقدير قدراته .. لم يكن يعيبنى إلا مظهرى الخامل . وذات مرة رأيت

محاكمة برع فيها المحامى واستثار إعجابى حتى إننى وددت لو أعمل فى هذا المجال للأبد . لكنى اندهشت من حماقة وغباء وبلاهة المجرم ، وأثار دهشتى أن الأذكياء والعباقرة لا يرتكبون الجرائم إنما يرتكبها الحمقى .. خطر لى أن ما أصبو إليه هو القوة .. قوة هائلة تقهر الأمم والبلدان .. جريمة عالمية خارقة الذكاء ..

« وقررت أن أعيش حياتين .. أسبغت على نفسى شخصية مستشار الملك بقوتها ومغناطيسيتها الشديدة .. ارتديتها بسهولة كأنها قفاز .. »

وأغلق مستر (كارتر) الكتاب وقال :

ـ « عبقرى أو مجنون .. لا أحد يعرف .. »

عاد (جوليوس) بابنة عمه إلى الولايات المتحدة ، وقد أدرك أنه يحبها بحق منذ رأى صورتها ، أما المغامران الشابان فقد ظفر كل منهما بشيك محترم من الحكومة .. وللمرة الأولى يعترفان بالحب لبعضهما ويتفقان على الزواج . وعرف (تومى) أن العرض

الذى قدمه (جوليوس) لم يكن جادًا وإنما كان من نوع (البزنس) وقد رفضته (توبينس) على الفور على كل حال .

مازالت (توبينس) تأمل فى مزيد من المغامرات ، لكن (تومى) قال لها إنهما نالا من المغامرة مايكفى للوقت الحاضر والمستقبل . إن الزواج مغامرات جميلة وخطرة أيضًا .

1922

* * *

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب



الغريم الخفى

من هو المستر (براون) ؟ من هو ذلك الجاسوس الغامض الذى حيَّر رجال سكوتلانديارد ، وصار كابوسًا لساسة انجلترا بعد الحرب ؟ من صاحب هذا الطريق من الجثث ؟ وكيف يسبق البوليس فى كل مرة ؟ هذا ما يحاول الشابان عديما الخبرة (تومى) و (توبينس) ان يعرفاه .. وبالتدريج يفهمان أن الجاسوسية ليست لعبة يمارسها الهواة .. بالتأكيد ليست لعبة يمارسها الهواة ..

38

الثمن فى مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
قضية الذئب

مطابع